الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجيلالي بونعامة -خميس مليانة
كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية
قسم العلوم الإنسانية
شعبة التاريخ

الظاهرة الوبائية في الجزائر خلال عهد الدايات (1671-1830م): أسبابها وانعكاساتها

مذكرة التخرج لنيل شهادة الماستر
تخصص: تاريخ الجزائر الحديث

إعداد الطالبتين :
حفيظة عتوان
ربيعة إرسان

إشراف الأستاذ:
د. أمين محرز

السنة الجامعية: 2018-2019

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينْ ﴾

سورة الشعراء الآية 80

شكر وعرفان

الشكر الأول والأخير هو للّه عز وجل، والحمد الكثير

له والذي يليق بجلاله الذي أعاننا وقدرنا على إنجاز

هذا العمل

نتوجه بالشكر الجزيل إلى كل من ساعدنا من قريب أو بعيد لإنجاز هذا العمل المتواضع

" **وَقُمْ لِلْمُعَلِمِ وَفِهِ تَبْجِيلَا كَادَ الْمُعَلِمُ أَنْ يَكُونَ رَسُولَا**"

إلى جميع أساتذةشعبة التاريخ بجامعة الجيلالي بونعامة ونخص بالذكر الأستاذ المشرف أمين

محرز نظرا لعمله المتفاني.

وفي الأخير أقول أسأل الله بالقرآن آية آية أن يشفي كل مريض ويزيدنا هداية.

إهداء

"وَقُلْ رَبِي إِرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَيَانِي صَغِيرًا"

اهدي ثمرة عملي المتواضع إلى التي حملتني وهنا على وهن، وسهرت من أجلي وبكت لغيابي "أمي حورية"

وإلى أعطف الآباء الذي تحمل مشقة تعليمي وبفضل الله ثم بفضله وصلت إلى ماأنا عليه "أبي سعد"

إن أخاك صديق من لن يخدعك ومن يضر نفسه لينفعك، إلى إخوتي وأخواتي

لكل واحد تقديري وإحترامي.

بصفتي أصغرهم

وإلى أغلى صديقاتي أخص بالذكر حفيظة التي قاسمت معي مشاق البحث

لكم أحبتي ربيعة

إهداء

"وَقُلْ رَبِي إِرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَيَانِي صَغِيرًا"

اهدي ثمرة عملي المتواضع إلى التي حملتني وهنا على وهن، وسهرت من أجلي وبكت لغيابي "أمي يمينة"

وإلى أعطف الآباء الذي تحمل مشقة تعليمي وبفضل الله ثم بفضله وصلت إلى ماأنا عليه "أبي ميلود" وإلى أبي الثاني جدي الحبيب "بلقاسم"

إلى إخوتي وأخواتي لكل واحد إحترامي و تقديري.

وإلى عماتي وأخص بالذكر "عائشة"

وإلى أغلى صديقاتي أخص بالذكر ربيعةالتي قاسمت معي مشاق البحث

لكم أحبتي حفيظة

قائمة المختصرات: Abréviations

- تح: تحقيق.
- تر: ترجمة.
- تع: تعليق.
- ج: الجزء.
- د.ب: دون بلد.
- د.د.ن: دون دار نشر.
- د.س: دون سنة.
- د.ع: دون عدد.
- ص.ص: من الصفحة إلى الصفحة.
- ص: صفحة.
- ط.خ: طبعة خاصة.
- ط: الطبعة.
- ع: العدد.
- ق. م: قبل الميلاد.
- م.ت.ع.د.ع: المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية.
- م: ميلادي.
- مج: مجلد.
- ن: نسمة.
- ه هامش
- هـ: هجري.

- A.C.C.M. : Archive de la chembre commerce de Marseille.
- A.D.B.R. : Archives Départementales des Bouches du Rhône.
- A.N.E.P. : Agence nationale d'édition et de publicité.
- C.N.R.S. : Centre national pour la recherche scientifique.
- F.T.E.R.S.I. : Fondation Temimi pour la recherche scientifique et l'information.
- I.B.L.A. (إيبلا) : Institut des Belles Lettres Arabes (مجلة معهد الآداب العربية)
- p. : page.
- Trad. : traduction.

مقدمة

يحفل تاريخ الجزائر الحديث بمجموعة من الأحداث التي ظلت غير معروفة كما ينبغي لها أن تكون، بسبب تركيز معظم الدراسات على الجوانب السياسية والاقتصادية؛ ولا تزال بالأخص بعض القضايا خاصة ما تعلق بالتاريخ الثقافي والاجتماعي في حاجة إلى تسليط الضوء أكثر، لا سيما المواضيع المتعلقة بالجانب الصحّي، ومن هذه القضايا الظاهرة الوبائية في الجزائر خلال عهد الدايات.

وموضوع بحثنا متعلق بدراسة تطور الوضع الصحي في الجزائر قبل بداية الحكم العثماني إلى غاية العهد سابق الذكر، حيث عرفت الإيالة خلال عهد الدايات استقلالية سياسية عن الدولة العثمانية، في حين شهدت اضطرابات داخلية جسدتها ثورات عنيفة تسببت في ضعف البلاد. بالإضافة إلى تعاقب سلسلة من الكوارث الطبيعية، أثرت بشكل كبير على البلاد والعباد، فالمجاعات والفيضانات وسنوات الزلازل وكذا الجفاف من أبرز العوامل التي ساهمت في تردي الأوضاع الصحية للسكان. وقد عرفت الجزائر في العهد العثماني عدة أمراض خطيرة مثل الطاعون والكوليرا والأمراض الصدرية والجلدية، التي اجتاحت الجزائر كوباء 1817-1822م، بحيث نجد المدن الكبرى كقسنطينة والجزائر والبليدة الأكثر تأثرا بإعتبارها من أكبر المراكز الحضارية والتجارية.

وتكمن أهمية هذه الدراسة في كونها من المواضيع المهمة في عهد الدايات لدارسي التاريخ الاجتماعي الصحي، وتتجلى أهميتها في تحديد مختلف الأسباب الطبيعية والبشرية والعوامل المساعدة في انتشار الأمراض والأوبئة، وماولدته من انعكاسات في المجالات الاجتماعية والاقتصادية أي أن موضوع الظاهرة الوبائية من الأبحاث المتخصصة.

لعل أهم ما دفعنا لاختيار هذا الموضوع هو:

*** أسباب ذاتية:**

- ميولنا وتعلقنا الكبير بدراسة تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني، وخاصة فيما يتعلق بالجانب الاجتماعي والاقتصادي.
- الرغبة في معرفة أهم الأحداث التي مرت بها الجزائر خلال عهد الدايات.
- رغبتنا الشخصية في التعرف على الوضع الصحي للجزائر في فترة الدايات.

*** أسباب موضوعية:**

– لم يحظ عهد الدايات بدراسة شاملة ووافية من طرف الباحثين، وهذا ما ترتب عنه قلة الدراسات المعمقة في الجانب الصحي خلال ذات العهد.

– معرفة السياسة المنتهجة من طرف حكام الجزائر وموقف السكان من الأمراض، وخاصة الوبائية منها.

– مثل عهد الدايات منعطفا هاما في تاريخ الجزائر الحديث لما شهده من تغيرات في المجالين الاقتصادي والاجتماعي.

– التعرف على نوعية الأمراض والأوبئة التي اجتاحت إيالة الجزائر وتحديد أسبابها وانعكاساتها.

وبحكم أن موضوعنا يخص الظاهرة الوبائية في الجزائر خلال عهد الدايات أسبابها وانعكاساتها، فإننا تقيدنا بالفترة الزمنية الممتدة ما بين 1671 و1830م.

وبعد أن تشكلت لدينا صورة عامة عن البحث صغنا الإشكالية التالية: **فيما تتمثل الظاهرة الوبائية في الجزائر خلال عهد الدايات؟ وما هي أهم أسبابها وانعكاساتها؟**

وتفرعت عنها مجموعة من الأسئلة الثانوية:

– ما المقصود بالوباء والطاعون؟ وما طبيعة العلاقة التي تربطهما؟

– ما طبيعة الأمراض والأوبئة المنتشرة خلال القرن 14 و15م؟

– هل ساهمت الكوارث الطبيعية في حدوث الأمراض والأوبئة؟

– ما هي أهم الأوبئة التي اجتاحت الجزائر في هذه الفترة؟

– كيف أثرت الأمراض والأوبئة على البلاد والعباد؟

– ما السياسة المتخذة من طرف السلطة للحد من تأثير الأمراض والأوبئة؟ وهل كان نظام الحجر الصحي معمولا به في الجزائر؟

– ما هي أبرز المناطق التي عرفت انتشار الأمراض والأوبئة؟

– كيف كان الواقع الوبائي في تونس والمغرب الأقصى المجاورتين؟

– هل فعلا لم يكن يوجد طب بالجزائر حسب ما ذكره بعض المؤرخين؟

سنحاول من خلال دراستنا لهذا الموضوع الوصول إلى إجابة عامة عن هذه التساؤلات، من خلال المنهجية التي اتبعناها وكانت معالجتنا لموضوع البحث وفق الخطة التالية، حيث تم تقسيم هذا الموضوع إلى مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة تضمنت مجموعة من الاستنتاجات، وقائمة المصادر والمراجع ومجموعة من الملاحق التوضيحية، وكان **الفصل الأول بعنوان: لمحة عن الوضع الصحي في الجزائر قبل عهد الدايات**، تمثلت عناصره في تعريف الوباء والطاعون وإعطاء نبذة تاريخية عنهما، كما تطرقنا إلى أوبئة الطاعون أسبابها وانعكاساتها خلال القرن 14 و15م، بالإضافة إلى دراسة الظاهرة الوبائية أثناء الوجود العثماني 1519-1671م - بطبيعة الحال - قبل عهد الدايات، وأخيرا طرق العلاج والتداوي قبل عهد الدايات معتمدين على الطب التقليدي، الطب العثماني، وكذا الطب الأوروبي.

أما الفصل الثاني، فهو موسوم بـ: **أسباب انتشار الظاهرة الوبائية في الجزائر خلال عهد الدايات (1671-1830م) وعواملها** ؛ وتناولنا فيه الأسباب الطبيعية والبشرية لانتشار الأمراض والأوبئة بصفة عامة وبعدها تحدثنا عن مختلف الأمراض والأوبئة التي عرفتها الجزائر خلال الحقبة المذكورة وبعد ذلك انتقلنا إلى ذكر مجمل الأسباب حسب السنوات مع ذكر وقعها على مختلف الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والسياسية معتمدين على ثلاث حقب أولا مابين 1671 و1711م، الثانية مابين 1711 و1791م، الثالثة مابين 1791و1830م.

الفصل الثالث فهو بعنوان: **انعكاسات الظاهرة الوبائية في الجزائر خلال عهد الدايات**، الذي تطرقنا فيه إلى الانعكاسات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، كما تحدثنا عن الواقع الوبائي في البلاد المغاربية وقمنا بدراسة مقارنة في الجانب الاجتماعي والاقتصادي للظاهرة الوبائية في كل من تونس، الجزائر والمغرب الأقصى.

المنهج المتبع:

لقد اتبعنا لدراسة هذا الموضوع المنهج التاريخي الوصفي، الذي بدا لنا أنسب المناهج لوصف الأحداث التاريخية في فترة الدايات ومعرفة أهم الأمراض والأوبئة التي اجتاحت الجزائر، حيث يعتمد على وصف شامل لمختلف الظواهر، بالإضافة إلى ذلك، اعتمدنا على آلية المقارنة لمقايسة تأثير الأوبئة على الصعيد الاجتماعي والاقتصادي بين المجتمعات المغاربية، إلى جانب الأساليب الإحصائية، التي عالجت مجموعة من الإحصائيات الاجتماعية والاقتصادية.

تقديم المصادر والمراجع:

انطلقنا في البحث من بعض الدراسات الأساسية ذات قيمة، التي أفادتنا في دراسة هذا الموضوع، من بين أهمها نذكر:

- مخطوطة " **مارواه الواعون في أخبار الطاعون**"، لأبي راس الناصري هو مخطوط قيم تناول فيه صاحبه عدة مواضيع وأفادنا في تعريف الوباء والطاعون والتمييز بينهما.
- كتاب **نقيب أشراف الجزائر** لأحمد الشريف الزهار اعتمدنا عليه للتعرف على سلسلة الكوارث الطبيعية مثل الجراد والزلازل التي وقعت أواخر العهد العثماني.
- كتاب حمدان خوجة، "**إتحاف المنصفين والأدباء في الاحتراس عن الوباء**"، كتاب قيم تناول فيه صاحبه عدة مواضيع أفادتنا في تحديد مفهوم الحجر الصحي، ورسم تصور عن كيفية ممارسة نظام الكرنتينة في الجزائر.
- كتاب عبد الرحمان بن محمد بن خلدون، **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، هو مصدر قيم جدا أفادنا في معرفة أسباب الأمراض والأوبئة في الفترة الوسيطة.
- شاو (SHAW) كتاب قيم ساعدنا في إعطاء فكرة واضحة عن حالة الطب في الجزائر وتشكيل صورة واضحة عن طرق العلاج في الجزائر.

أما بالنسبة للمراجع:

- كتب وأبحاث ناصر الدين سعيدوني، نذكر من بينها كتاب **النظام المالي والحياة الريفية**، ومن بين الأبحاث "**الأحوال الصحية والوضع الديموغرافي في الجزائر أثناء العهد العثماني**" ؛ واستفدنا من كل تلك الدراسات في معرفة جل الأسباب المساهمة في انتشار الأمراض والأوبئة.
- تال شوفال (TAL SHUVAL)، مرجع أجنبي قيم اعتمدنا عليه في التعرف على انعكاسات الأمراض والأوبئة، خاصة ما بين سنوات 1787 و1788م.

أما بالنسبة للرسائل الجامعية:

- رسالة فلة موساوي–قشاعي، **الصحة والسكان في الجزائر أثناء العهد العثماني وأوائل الاحتلال الفرنسي (1518–1871م)**، التي تعتبر من الاطروحات القيمة لدارسي التاريخ الاجتماعي والاقتصادي ؛ وقد أفادتنا في تحديد مجمل الأسباب المساعدة على انتشار الأمراض والأوبئة، بالإضافة إلى تتبع سلسلة الكوارث الطبيعية واستنتاج مختلف الانعكاسات.
- مارشيكا (MARCHIKA) رسالة دكتوراه في الطب من جامعة الجزائر عالج الطاعون في الجزائر من 1363 إلى غاية 1830م، وأفادتنا في تتبع سلسلة الكوارث الطبيعية خلال عهد الدايات.

لنصل في آخر هذه الدراسة المتواضعة إلى أهم النتائج بعد دراسة المادة العلمية ومناقشتها، ونختمها بالقائمة البيبليوغرافية.

الصعوبات:

فيما يخص الصعوبات التي واجهتنا تتمثل في:

- تداخل المعلومات وقلة المصادر بحيث أن مجمل الكتب تناولت هذه الدراسة بصفة مختصرة غير معمقة.
- قلة الكتب حول الموضوع في المكتبة الجامعية، مما تطلب منا التوجه نحو المكتبات الواقعة خارج الجامعة.
- المدة الزمنية للمذكرة غير كافية لدراسة هذا الموضوع، بحيث تطلب منا وقت وجهد علمي كبير.
- تشابه المصادر والمراجع في نقل الأحداث التاريخية، ما جعلنا لا نستطيع التوسع في عرض الأحداث الاجتماعية.
- المادة الأساسية متوفرة في المكتبة الوطنية ومراكز الأرشيف التي يصعب ارتيادها.

وفي الأخير نتوجه بالشكر والعرفان للأستاذ الدكتور أمين محرز الذي تفضل علينا بالإشراف على هذا البحث، وعلى صبره معنا وملاحظاته القيمة والمفيدة.

الفصل الأول

لمحة عن الوضع الصحي في الجزائر

قبل عهد الدايات

أولا: تعريف الوباء والطاعون.

1. تعريف الوباء[1].

* لغة: يعرف الوباء في اللغة بأنه "كل مرض عام" [ويمد ويقصر] وجمع المقصور أَوْبَاءُ، وجمع الممدود أَوْبِئَةُ، وقد وبئت الأرض توبأ فهي موبوءة، إذا كثر مرضها، وكذلك وبئت توبأ وباءة فهي وبئة وبيئة على فعلة، وفعيلة، وأوبأت أيضا فهي موئبة، واستوبأت الأرض وجدتها وبيئة[2].

وعرّف ابن خلدون الوباء أنه الموتان[3]، وتفسير ذلك يعود إلى كثرة الموت الذي ينتج عن الوباء والهول الذي يحدثه الوباء بعد انتشاره وسط السكان. كما أطلق البعض على الوباء مرادفات أخرى مثل القرف، كأن يقال "احذر القرف في غنمك"[4].

* اصطلاحًا: أما مفهوم الوباء في الاصطلاح، فإن معناه وقوع الموت الناتج عن انتشار الوباء في وسط الإنسان والماشية، بالإضافة لانتشاره وسط الحيوانات الأخرى؛ وقد عرفت بأنها الأمراض الوافدة[5]، أي التي تأتي من خارج البلد.

ويعتبر الأندلسي ابن خاتمة أن الوباء مرض عام وقاتل يصيب الناس ويعود إلى سبب مشترك، ويتضح من ذلك أنه يتحدث عن فساد الهواء الّذي يستنشقه الناس[6] ؛ وبالتالي، فالمعنى الشمولي للوباء اصطلاحا هو انتشار الموت وسط الإنسان والحيوانات[7].

---

[1] عرفت الجزائر، على غرار باقي المدن الإسلامية، وبخاصة في العهد العثماني تواتر الأوبئة، البعض منها اتّخذ عارض اسهال معوي والبعض الآخر شكل بثور جلدية وما شابه. انظر: الشويهد، عبد الله بن محمد. **قانون أسواق مدينة الجزائر 1107-1117هـ/ 1695-1705م**، تح. ناصر الدين سعيدوني، البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012، ص. 139، ه. 1.

[2] مزدور، سمية. **المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط (588-927هـ/1192-1520م)**، ماجستير في التاريخ الوسيط، جامعة قسنطينة، 2008-2009، ص ص. 19-20.

[3] عبد الرحمان بن محمد، بن خلدون. **العبرو ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، دار العلم للجميع، بيروت، ص. 302.

[4] مزدور، نفس المرجع السابق، ص. 20.

[5] نفسه.

[6] ابن خاتمة. "**تحصيل غرض القاصد في تفضيل مرض الوافد**"، في: الطب والأطباء في الأندلس الإسلامية، نشر عبد الكريم الحطابي، ج. 1، ط. 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988، ص. 162. نقلا عن: مزدور، نفسه.

[7] ابن خلدون، نفسه.

وهناك من أطلق مصطلح الجائحة على الوباء الذي يقع وسط الحيوانات[1] ؛ وتعتبر الجائحة هي النازلة العظيمة التي تصيب وتجتاح الحيوانات والمال، أي المصيبة التي تهلك الأموال والثمار والنفس. وقد فسّر بعض المؤرخين أن الجائحة كل ما ينزله الله تعالى من الأوبئة والمطر، والريح، والنار، والجراد والمجاعة[2]، بحيث تخلّف أثرًا سلبيًا على معايش الناس وممتلكاتهم، وحتّى محيطهم الطبيعي.

* **فقهيًا:** لقد حاول مختلف الفقهاء وضع تعريف للجوائح في الفترة الوسيطة، نظرا لما كان يترتّب عنها من مشاكل في مختلف القطاعات الاجتماعية والاقتصادية[3] ؛ وذلك للتخلّص من الغموض الذي كان يخلق تلك المشاكل، تنوعت الجوائح من حيث طبيعتها، فشملت التجارة والفلاحة والفتن والحروب، اعتبرت الأمراض والأوبئة من بين الجوائح التي تصيب الإنسان.

المطلب الثاني: تعريف الطاعون.

يعتبر الطاعون من الأوبئة الفتّاكة التي عرفتها الدول المتوسطة والمغاربية؛ وكان وباء الطاعون يأتي بصفة دورية مرة كل متوسّط خمسة عشر أو خمسة وعشرين سنة[4]، لكن في بعض الفترات كان يستمر لسنوات طويلة[5].

وتعددت الروايات حول الطاعون، نذكر منها أن الله أوحى إلى نبيّه داوود عليه السلام "إن بني اسرايل (كذا)، الذين طغوا في الأرض فسادا فقد طلب منهم أن يختاروا بين ثلاثة أمور: إما القحط لمدة سنتين أو إرسال العدو عليهم لمدة شهرين كاملين أو ابتلائهم بالطاعون لمدة ثلاث

---

(1) موساوي–قشاعي، فلة.**الصحة والسكان في الجزائر أثناء العهد العثماني وأوائل الاحتلال الفرنسي (1518–1871م)**، دكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، 2003–2004، ص. 86.

(2) بكاي، عبد الملك. **الحياة الريفية في المغرب الأوسط من القرن 7–10هـ/13–16م**، النشر الجامعي الجديد، تلمسان، الجزائر،2018، ص. 20.

(3) بولقطيب، الحسين. **جوائح وأوبئة مغرب عهد الموحدين**، منشورات الزمن، الرباط، ص ص. 23–24.

(4) غطاس، عائشة. **الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر خلال القرن 1700–1800م**، مقاربة اجتماعية–اقتصادية، دكتوراه دولة في التاريخ، جامعة الجزائر، 2002، ص. 61.

(5) حسام، صورية. **العلاقات بين إيالتي الجزائر وتونس خلال القرن الثامن عشر**، ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، السنة الجامعية 1433–1434هـ/2012–2013م، ص. 174.

أيام، لكنهم طلبوا من داوود عليه السلام الاختيار لهم، فاختار لهم الطاعون وحسبه أن العدو لا يمكن مقاومته، والجوع فهو بلاء أعظم من الطاعون" [1].

وفي هذا الصدد، نقل الحمصي عن أبو راس الناصري عن الشيخان البخاري ومسلم أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم ذكر أن هذا الطاعون "رجز وبقية عذاب عذب به القوم"[2].

ومن بين التعاريف الشائعة عن الطاعون، أنّه عبارة عن ورم وبثر يصاحبه احمرار بنفسجي يخرج في ساير الجسد في المراق والآباط والأيدي والأصابع، كما تصاحبه بعض الأعراض منها خفقان القلب والقيء[3] ؛ ولأجل ذلك عرف باسم "الحبوبة"[4].

وعرف الطاعون كذلك بالموت الأسود[5]، لأنه "وباء منبثق عن الرياح الكريهة المتعفنة"[6] يتسبّب غالبًا في وفاة ضحاياه في أقلّ من ثلاثة أيّام، ويفضي إلى اسوداد جثثهم.

الوباء من خلال المصادر التاريخية:

كانت أغلب المصادر التاريخية لا تفرق بين الوباء والطاعون، واختلفت أراء المؤرخين في الفصل بين الظاهرتين، أما الوباء من حيث المصادر الدينية فهو شهادة لمن توفي به عند الله[7].

وعليه، سنحاول التفريق بين مصطلح الوباء والطاعون، حيث يعتبر الطاعون أشمل من الوباء وذلك كون الطاعون المرض العام يكون به أو لا يكون، ولذلك كل طاعون يعتبر وباء؛ وعلى العكس، ليس كل الأوبئة تعتبر طواعين، أي ليس كل وباء طاعون[8]. وقيل أن الوباء أرجح من

---

[1] الناصري، أبو راس. **مخطوطة ما رواه الواعون في أخبار الطاعون**، تح. محمد بن عتيق الحمصي، مكتبة الأستاذ الدكتور محمد بن تركي التركي، الإسكندرية، د.س، ص. 20.

[2] نفسه، ص. 27.

[3] نفسه، ص. 22.

[4] نوع من المرض المعدي، يظهر عادة على الجلد بشكل بثور وطفح على الجلد ما تلبث أن تتقيح وتتسبب في وفاة المصاب في أغلب الأحيان. انظر: الشويهد، المصدر السابق، ص. 139، ه. 2.

[5] علامة، صليحة. **الأحوال الصحية بالجزائر خلال الاحتلال الفرنسي من 1830 إلى 1962م، عمالة الجزائر نموذجا- دراسة تاريخية**، دكتوراه في التاريخ، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2016-2017، ص. 159.

[6] بوحجرة، حسين. **الطاعون وبدع الطاعون الحراك الاجتماعي في بلاد المغرب بين الفقيه والطبيب والأمير (1350-1800م)**، ط. 1، سلسلة أطروحات الدكتوراه مركز الوحدة العربية، بيروت، 2011، ص. 25.

[7] مزدور، المرجع السابق، ص. 23.

[8] السيوطي، جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر. **مخطوطة رسالة في الطاعون**، قسم المخطوطات، مكتبة الملك عبد الله بن عبد العزيز، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ص. 37.

الطاعون، وأن الوباء هو السبب في حدوث الطاعون[1]، نتيجة مجموعة من الأمراض التي اصطلح عليها تسمية الأوبئة، فهي نتيجة تطورها تتحول إلى أوبئة طاعونية.

نبذة تاريخية عن الأوبئة:

لم تخلو الفترة الإسلامية من موجات الوباء والتي ذكرها المؤرخين، ابتداءا من فترة الخلافة الراشدة، وعرفت سنة ثماني عشر هجري ظهور طاعون عمواس[2]، وذهب ضحيته العديد من المسلمين، وشهدت هذه السنة كذلك مجاعة وقحط[3]، وكان بناحية الأردن، ولم يحدث طاعون في الإسلام مثل ذلك، واستشهد في ذلك الطاعون أمين هذه الأمة وهو أبو عبيد بن الجراح[4]، وكذلك الفضل[5]، وبالإضافة إلى معاذ بن جبل الذي هو سلطان العلماء[6]، كما انتشر الوباء بمراكش وكان عدد الموتى في اليوم الواحد مائة إلى مائة وتسعين شخص[7]، وسنة 881هـ انتشار الطاعون في مصر والشام[8]، وحسب مارشيكا (Marchika) كانت الجزائر بيئة خالية من الطاعون[9]، وهناك آراء تخالف مارشيكا، التي تثبت اجتياح مرض إلى أفريقيا، وكذلك وجود بعض الأوبئة في شمال افريقيا منذ القرن 5 ق.م، وكذلك انتشار الطاعون في الجزائر في العهد القديم[10].

---

(1) الناصري، المصدر السابق، ص. 27.

(2) كان طاعون عمواس في عهد عمر رضي الله عنه أول طاعون في الشام في العهد الإسلامي، وعرف بعمواس وهي قرية في الشام، ويقال أنّه سمي بذلك لأنه عم وآس، أي حمل الناس أسوة البعض. انظر: ابن العماد، شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي بن احمد بن محمد الطوي الحنبلي الدمشقي. **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، تح. محمود الأرناؤوط، ط. 1، دار ابن كثير، بيروت، 1406هـ/1986م، ص. 166.

(3) الطبري، أبي جعفر محمد بن جرير. **تاريخ الطبري تاريخ الأمم والملوك**، مراجعة نواف الجراح، مج. 2، ط. 1، دار صادر، بيروت، 1424هـ/2003م، ص. 700.

(4) ابن العماد، نفسه.

(5) هو الفضل ابن العباس بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمي، ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم؛ كان أكبر إخوته، وكان يكنى أبا العباس. انظر: نفسه، ص ص.166-167.

(6) نفسه، ص. 167.

(7) المراكشي، ابن عذاري. **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تح. محمد إبراهيم الكتاني وآخرون، ط. 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1406هـ/1985م، ص. 136.

(8) السيوطي، المصدر السابق، ص. 10.

(9) MARCHIKA, **La peste en Afrique septentrionale : histoire de la peste en Algérie de 1363-1830**, Julien Carbonel, Alger, 1927, p. 14.

(10) موساوي، المرجع السابق، ص ص. 35-36.

ثانيا: أوبئة الطاعون أسبابها وانعكاساتها خلال القرن 14و 15م

1-الأمراض الوبائية:

تعرض المغرب الإسلامي خلال العصور الوسطى إلى الكثير من الأوبئة والأمراض التي خلفت أثارا، وشهد المغرب الأوسط مجموعة من الأمراض الرهيبة التي كانت تنتشر في أغلب المناطق الجزائرية[1] ؛ وكان أول وباء من هذا النوع عرفته البشرية خلال العصور الوسطى هو طاعون جوستنيان[2]، وكان ذلك في القرن السادس ميلادي ؛ لكنه خمد في القرن الثامن ميلادي في ظل الاستقرار الذي عرفته السنوات اللاحقة، حتى عاد إلى الظهور في القرن الرابع عشر ميلادي[3]. وكان انتشار هذا الأخير بداية من آسيا الوسطى، ثمّ عرفته الصين عام 1346م، ووصل إلى أوروبا وشمال إفريقيا وذلك عام 1349م.

وفي تلك السنة، عرفت تلمسان[4] الزيانية الظهور المفاجئ لذاك وباء؛ وبسبب فتكه الشديد تعددت التسميات التي أطلقت عليه، ونذكر منها: الشر الأسود، الطاعون الأسود، الموت الأسود، سنة الفناء والطاعون الأعظم[5].

وفيما يلي سنوضح أهم الأوبئة والطواعين التي تعرض لها المغرب الأوسط خلال الفترة المذكورة:

---

[1] بكاي، المرجع السابق، ص. 122.

[2] وقد سمي بهذا الاسم نسبة الى الامبراطور البيزنطي جوستنيان وقد ضرب عاصمة القسطنطنية. انظر: يماني، رشيد. "**تداعيات وباء منتصف القرن الثامن الهجري على الحياة الفكرية في مملكة غرناطة**"، في: المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطية، ع. 2، تلمسان، 2015، ص. 57.

[3] بلعربي، خالد. "**المجاعات والأوبئة بتلمسان في العهد الزياني (698-845هـ/1299-1442م)**"، في: دورية كان التاريخية، ع .4، الجزائر، 2009، ص. 23.

[4] تقع تلمسان على ارتفاع 830م من سطح البحر، وتعتبر تلمسان من المدن القديمة، واسم تلمسان بربري هو تحريف صيغة جمع وهو تلمسان أو تلمسية بكسر التاء وكذلك سكون اللام وكسر الميم، ومفرده تلماس، ومعنى ذلك جيب لماء. انظر: التلمساني، أبي عبد الله محمد بن أحمد. **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**، منشورات السهل، الجزائر، 2009، ص. 13.

[5] السعداوي، أحمد."**المغرب الإسلامي في مواجهة الطاعون: الطاعون الأعظم، والطواعين التي تلته القوانين في 9.8 هـ/ 15.14 م**"، في: ايبلا I.B.L.A، ع.175، 1995، ص.119.

1- 1. الطاعون الأسود (الطاعون الأعظم منتصف القرن 8هـ/ 14م)

تعرضت بلاد المغرب في العصور الوسطى[1]، للطاعون الأسود أو ما يعرف بالطاعون الأعظم، واصطلح عليه الطاعون الأكبر، الطاعون الجارف، الطاعون العام[2]، ويعتبر من أشد الأوبئة فتكا فكان انتشاره في فترة السلطان الزياني أبو سعيد الثاني 753هـ/1353م.

وكانت الدولة الزيانية[3] الأكثر تضررا[4]، ولم يقتصر الطاعون الأسود على المغرب الأوسط حيث عرفه المغرب الأقصى سنة 750هـ/1348م[5]، ارتبط الطاعون الأعظم بالثالوث المخيف، الموت جوعا لكثرة المجاعات، الموت قتلا، مما يسمح لنا بالقول أن العصور الوسطى شهدت عدة حروب وصراعات سواء في الإطار الداخلي أو الخارجي، الموت مرضا لانتشار الأمراض والأوبئة[6].

أما المرحلة الممتدة ما بين السنوات 1348 و1349م استمر فيها الطاعون إلى غاية 1350م، واختلفت آراء المؤرخين حول خمود الطاعون ما بين 1350 و1466م[7]، فهناك من يرى انه في سنة 1350م عاد الطاعون الأسود من جديد وذلك من خلال ما سنبينه لذكرنا لأهم السنوات التي عرفت ظهور وباء الطاعون منها 1364، 1367، و1393م[8].

واجه المغرب الأوسط في بداية القرن الخامس عشر ظهور وباء الطاعون مجددا بعد خموده لسنوات عديدة، وكانت الدولة الزيانية، التي عرفته سنة 1441-1442م، والأكثر تضررا منه هي الدول المغاربية الأخرى[9] ؛ وفيما يلي سنذكر أهم السنوات التي عرفت انتشار وباء الطاعون

---

(1) بكاي، المرجع السابق، ص. 23.

(2) السعداوي، المرجع السابق، ص. 119.

(3) تعتبر الدولة الزيانية (1236-1550م) التي أسسها أبي تاشفين وعاصمتها تلمسان، واجهت كل من المرينيين والحفصيين الذين تدخلوا في شؤونها. انظر: بحري، أحمد. **الجزائر في عهد الديات، دراسة للحياة الاجتماعية إبان الحقبة العثمانية**، ج.1، دار الكفاية، الجزائر، 2013، ص. 124.

(4) بلعربي، المرجع السابق، ص. 23.

(5) نفسه. وللتعرّف على أهم الأوبئة على العموم، انظر الملحق رقم 1.

(6) بوحجرة، المرجع السابق، ص. 35.

(7) نفسه، ص. 163.

(8) السعداوي، نفس المرجع السابق، ص. 122.

(9) بكاي، نفس المرجع السابق، ص. 126.

خلال القرن 15م، منها سنة 1402، 1412-1415، 1440، 1452-1453، 1468، 1492م[1].

وذكر مارشيكا أن وقع الطاعون ما بين 1465 و1466م في الحوض الغربي للمتوسط، امتد إلى غاية 1467م[2]، ولم تتخذ السلطة الزيانية أي تدابير وقائية لتفادي آثار الطاعون.

2-أسبابها:

تعددت أسباب انتشار الأمراض والأوبئة خلال القرنين 14-15م، فمنها أسباب بشرية وطبيعية؛ وفي الصفحات التالية، سنعدد أبرز الأسباب التي ساعدت على انتشار الأمراض الوبائية وعلى رأسها وباء الطاعون. تعتبر الحروب والفتن من بين الأسباب المؤدية إلى انتشار الأوبئة في العصور الوسطى، وكانت آثارها تدوم لفترات طويلة[3]، وكانت الحروب الطابع الغالب في العصور الوسطى، حيث كان المغرب الأوسط يتكون من مجموعات قبلية متنازعة، ضف إلى ذلك تهديدات الدول المجاورة مثل الحفصية والمرينية، وكان أقوى كيان سياسي بالمغرب الأوسط مملكة بني زيان، الّذين امتدت سلطتهم غربا إلى نهر ملوية وشرقا إلى وادي شلف وجنوبا إلى الصحراء وشمالا إلى وهران[4].

تعتبر الحروب والفتن من الأسباب البشرية لحدوث الأوبئة على وجه الخصوص، والمجاعات على وجه العموم، فكانت تخلف الكثير من الدمار والخراب الذي يولد هزالا وضعفا، يفتح الباب لانتشار الأمراض والأوبئة الفتّاكة[5] ؛ والقول التالي يبين الأسباب التي قادت إلى انتشار الأوبئة في الفترة الوسيطة: "إن لحدوث الغلا سببان، إما لاحتباس المطر في البلاد المحتاجة اليه وإما لظهور الفتن والحروب بسبب الخروج عن الملوك. فإن دامت الفتنة وقع الفساد في الحواضر والبوادي، وفسدت حبوبها المختزنة، وانقطعت الطرق وعدمت المرافق لأجل ذلك"[6] ؛ ويرجع ذلك

---

[1] للمزيد انظر الملحق رقم 2.

[2] MARCHIKA, Op. cit., p.22.

[3] بولقطيب، المرجع السابق، ص. 90 ؛ يماني، المرجع السابق، ص. 49.

[4] فكاير، عبد القادر. **دراسات في تاريخ الجزائر الحديث العهد العثماني 1518-1830م**، دار هومة، الجزائر 2018، ص. 13.

[5] بلعربي، المرجع السابق، ص. 21.

[6] مزدور، المرجع السابق، ص. 21.

إلى غياب السياسة الوقائية من طرف السلطة الحاكمة آنذاك التي كانت تحارب من أجل استمرارها[1].

وكانت الموانئ بدورها من بين العوامل والأسباب لنقل الأوبئة حيث جل الطواعين التي عرفتها بلاد المغرب كانت طواعين تأتي عن طريق البحر في غالب الأحيان، فتسرب الوباء من ميناء الجزائر نحو تلمسان وقسنطينة وتونس وفاس ومراكش، وخلت المناطق الصحراوية من الأوبئة نتيجة بعدها وانعزالها عن الموانئ البحرية[2]. واعتبرت السفن التجارية خلال العصور الوسطى ناقلة للعدوى والأمراض الوبائية المختلفة[3] ؛ وفي القرن 15م، عرفت مراكز الأندلسيين انتشار وباء الطاعون بالموازاة للاضطهاد الذي بدأوا يتعرضون له من طرف الإسبان[4]، وكانت التجارة والرحلات العلمية بدورها تساهم في انتقال الأمراض الوبائية من موطنها الأصلي إلى المناطق الخالية من الأوبئة.

تعرضت تلمسان للعديد من المجاعات أهمّها تعود إلى الحصار الذي فرضه عليها الجيش المريني، لكن المصادر التاريخية لم تحدد بضبط تاريخ بداية المجاعة الّتي يعود سببها إلى نضوب المؤن، وذكرت أنها تشمل مجمل سنوات الحصار، وأنّ المجاعة انتهت بنهاية الحصار المريني على تلمسان سنة 1306م.

لعبت الطرقات البرية دورا بارزا في نقل مختلف الأوبئة الوافدة من الخارج، من خلال قوافل التجار والحجاج الذين كانوا يتوّجهون إلى الشرق أو يعودون منه عبر مصر وبرقة؛ كما كان لزحف الجيوش كذلك دور في نقل الأوبئة [5]، فقد حدث مرارا أن انتقل الطاعون من إفريقية[6] إلى

---

[1] تميزت الأوضاع بالجزائر خلال القرن 14م بصفة خاصة والقرن 15م بصفة عامة بالاضطرابات السياسية والاجتماعية، وأحيانا بالغموض؛ وعرفت الحدود السياسية في العهد الزياني العديد من الاضطرابات حيث لم تكن ثابتة، فكان جزء كبير من الحدود في الشرق الجزائر الحالية وجنوبها الشرقي تحت نفوذ الدولة الحفصية، الذي كان يضم الزاب وورقلة شرقا إلى نهر ملوية غربا. انظر: فكاير، المرجع السابق، ص. 14.

[2] السعداوي، المرجع السابق، ص. 128.

[3] يماني، المرجع السابق، ص. 49.

[4] لم يقتصر تأثير الأوبئة على الأندلس في العصور الوسطى على الأحوال الاقتصادية والاجتماعية والسياسية فقط، بل كان ذلك التأثير على الحياة الفكرية أيضا ما نتج عنها ضحايا أصحاب العلم، والتي من وراء تلك الأوبئة كفت أيدي العلماء عن الإنتاج والابداع العلمي. انظر: نفسه.

[5] بلعربي، المرجع السابق، ص. 22.

[6] مزدور، المرجع السابق، ص. 133.

المغرب الأوسط، وكذلك المغرب الأقصى بواسطة الجنود القادمين من تونس. وإضافة إلى ما سبق ذكره، ساهمت زيارة الأضرحة والأولياء بشكل فعال في نشر وانتقال العدوى، خاصة أثناء تعدد الجوائح في المغرب الأوسط وما جاوره [1].

ومن بين الأسباب الطبيعية نذكر المجاعات والجفاف وظهور الجراد في المغرب الأوسط خلال القرنين 14-15م. وفيما يلي سنوضح أكبر المجاعات التي تعرض لها المغرب الأوسط وبلاد المغرب العربي عموما خلال القرن 14-15م [2]:

السنة	الجائحة	المنطقة
698-707هـ/1299-1307م	مجاعة	مدينة تلمسان
776هـ/1374م	مجاعة	المغرب الأوسط والأقصى والأدنى
900هـ/1494م	وباء ومجاعة	تلمسان وتوات
1500م	مجاعة	تلمسان

أضف إلى ذلك الجفاف الذي شهده المغرب الأوسط، ويعود ذلك إلى طبيعة المناخ المتذبذب في تلك الفترة ؛ وتعرضت الدولة الزيانية إلى الجفاف الشديد كان له الأثر البليغ في جميع القطاعات الاقتصادية والاجتماعية وحتى السياسية [3].

وكانت في أغلب الأوقات سنوات الرخاء تتبع بسنوات من القحط والجفاف، كما بينه لنا القرآن الكريم في سورة يوسف في قوله تعالى ﴿**وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ ۖ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ (43) قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ ۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ (44) وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ (45) يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ**

---

[1] السعداوي، المرجع السابق، ص. 129.

[2] مزدور، المرجع السابق، ص ص. 133-134.

[3] حساني، مختار. **تاريخ الدولة الزيانية الأحوال الاجتماعية**، ج. 3، ط. 1، دار الحضارة للطباعة والنشر، الجزائر، 2007، ص. 213.

للمزيد انظر: ابن الخطيب. **معيار الاختيار في الفكر والديار**، تح. محمد كمال شبانة، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، 2002، ص ص. 155-156 ؛ ابن أبي حجلة. **دفع النقمة بالصلاة على بني الرحمة**، و. 108.

سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَّعَلِّي أَرْجِعُ إلى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ (46) قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ (47) ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ (48) ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ (49) ﴾[1].

يتضح من السورة السابقة أن سنوات الرخاء تتبعها سنوات من الجفاف، ويعتبر ذلك من بين المؤثرات على الرخاء والازدهار، لكن غالبًا ما يتبع الجفاف سنوات من الرخاء.

ومن بين الوسائل التي استعملت من قبل عموم المغاربة لطلب الغيث، التوسّل من الله عز وجل بالصلوات والأدعية ؛ ولكن عددا كبيرا منهم كان يتقرّب إلى الأولياء الصالحين بالدعاء والنذر والقرابين لنفس الغرض[2].

3- انعكاساتها

كان لمجموعة الجوائح التي عرفها المغرب الأوسط خلال الفترة الزيانية انعكاسات كبيرة في مختلف المجالات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وفيما يلي سنحاول التطرق إلى أهمّ تلك الانعكاسات:

3-1. اجتماعيا:

خلف الطاعون الأسود خلال القرنين 14 و15 م العديد من الضحايا، كما ساهمت المجاعات بالموازاة في تراجع البنية الاجتماعية للمغرب الأوسط[3].

وتراجعت المواد الغذائية فارتفعت الأسعار وعم الغلاء، وانجر عنه الحروب والفتن وخسائر بشرية هامة[4]، وهذه النتائج توضح ضعف الحكم الزياني على المغرب الأوسط.

3-2. اقتصاديا:

تضرر اقتصاد المغرب الأوسط إثر الطاعون الأعظم الذي خلف العديد من الضحايا[5]، وبذلك ساهم في نقص اليد العاملة، وفتك الطاعون الأسود بعدد كبير من الفلاحين ما أدى إلى

---

(1) سورة يوسف، الآيات 43-49.

(2) بكاي، المرجع السابق، ص. 202.

(3) بلعربي، المرجع السابق، ص. 23.

(4) مزدور، المرجع السابق، ص. 94.

(5) نفسه، ص. 224.

تدهور النشاط الزراعي، فانعدمت الحراثة[1]، وتراجع النشاط الحرفي نتيجة الانقطاع الديمغرافي بين الحرفيين، فركدت التجارة وغلت الأسعار كما تدنت القيمة النقدية للعملة[2]؛ بالإضافة إلى ذلك، كانت الجوائح تصيب الحيوانات والمواشي، حيث تعتبر المواشي من أهم الموارد الاقتصادية في المغرب الأوسط[3].

3-3. سياسيا:

لم يكن للأوبئة والطاعون الأسود بصفة خاصة، تأثيرعلى الحياة الاجتماعية والاقتصادية فقط بل تعداه إلى الحياة السياسية، وفي الأسطر التالية سنوضح الانعكاسات التي خلفها الطاعون الأسود، والطواعين التي تلته:

من بين الانعكاسات السياسية انعدام الأمن والاستقرار داخل الدولة الزيانية[4]، حيث أن الأوبئة التي كانت منتشرة في المغرب الأوسط خلال القرنين 14 و15م، ساعدت على انتشار الفتن وسط الأسرة الحاكمة، ويعود تفسير ذلك عندما يموت السلطان بسبب الطاعون يتنازع أفراد الأسرة الحاكمة حول من له الأحقية في اعتلاء كرسي العرش.

وسعت السلطة إلى الحد من الأزمات التي خلفتها الأوبئة والطواعين من خلال حفر المطامير ورفع الضرائب[5] ؛ وفي العادة، كانت تعتبر من بين الإجراءات في حالة وجود وباء الطاعون وكذلك المجاعات.

---

[1] بكاي، المرجع السابق، ص. 209.

[2] بلعربي، المرجع السابق، ص. 24.

[3] حساني، المرجع السابق، ص. 213.

[4] بلعربي، نفس المرجع السابق، ص. 25.

[5] بكاي، نفسه.

ثالثا: الظاهرة الوبائية أثناء الوجود العثماني(1519-1671م)

1-الظاهرة الوبائية في عهد البايلربايات (1519-1587م)

تمتعت الجزائر بمناخ معتدل وصحي، إلا أنها كانت عرضة للأمراض والأوبئة منها وباء الطاعون الذي كان مزامنا للكوارث الطبيعية كالمجاعة والجراد[1]...إلخ.

يعود أوّل ظهور مؤكّد للوباء في الجزائر العثمانية إلى عام 948هـ/1541م، وذلك بحسب العديد من المؤرخين[2] ؛ وعرفت الجزائر قبل هذا التاريخ انتشار الأوبئة، إذ شهدت وهران سنة 1509م ظهور وباء الطاعون الذي كان سببه الغزو الإسباني للسواحل الجزائرية[3]. وعرفت مدينة بجاية ظهور وباء الطاعون سنة 1510م[4]، ومدينة وهران تعرضت لوباء الطاعون سنة 1517م، الذي أحدث خسائر بشرية مروعة، ونتيجة ما خلفه في نفوس السكان من رعب اضطر السكان لمغادرة وهران والانتقال إلى ضواحيها[5]، وانتقل وباء الطاعون من وهران إلى مدينة الجزائر في 1517م، حيث أهلك العديد من سكانها وذلك نتيجة انتشار الطاعون والمجاعة بسبب تحطم سفينة كانت محملة بالقمح، وفي نفس السنة انتشرت أسراب الجراد في بلاد المغرب[6].

وتعتبر الفترة الممتدة من 1517 إلى 1530م فترة خالية من الأوبئة، لكن سرعان ما عاد الوباء سنة 1535م إلى مدينتي بجاية ووهران مصحوبا بمجاعة مروعة فأهلك سكان المدينتين[7]. وانتشر في مدينة الجزائر وبقي فيها حتى 1543م[8].

---

[1] محمة، عائشة.**الأسرى الأوروبيون في مدينة الجزائر ودورهم في العلاقات بين الجزائر ودول الحوض الغربي للمتوسط خلال القرنين السادس والسابع عشر للميلاد**، ماجيستر في التاريخ الحديث، المركز الجامعي بغرداية، 1432-1433هـ/2011-2012م، ص. 48.

[2] عقاد، سعاد. **الفلاحون الجزائريون والسلطة العثمانية في الجزائر 1519-1830م، دار السلطان نموذجا**، ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران، 2013-2014، ص. 61.

[3] Marchika, op. cit., p. 23.

[4] موساوي، المرجع السابق، ص. 50.

[5] نفسه.

[6] محمة، نفسه.

[7] موساوي، نفس المرجع السابق، ص. 111.

[8] للتعرف على السنوات التي شهدت خمود الأوبئة وعودتها، أنظر الملحق رقم 3.

عاد وباء الطاعون مرة ثانية سنة 1542م إلى وهران، ونتج عنه خسائر مادية وبشرية، وانتشر في مدينة الجزائر، وبقي فيها حتى 1543م[1]، وفي عهد حسن آغا (1541-1544م) شهدت مدينة وهران وباء كبير[2]، ولقد خلف ذلك وباء خسائر في الأرواح البشرية، واستمر ثلاثة سنوات متتالية، ارتبط ذلك الوباء مع شبح المجاعة أو العكس وكان سببها ندرة المحاصيل الفلاحية. وخلفت الأوبئة الممتدة من 1540 إلى 1548م، العديد من الضحايا من بينها حسن آغا[3].

تعرضت بعض مناطق شمال إفريقيا سنة 1552م إلى مجاعة مروعة قضت على عدد كبير من سكانها[4] ؛ لكن الجزائر في تلك الفترة لم تصبها تلك المجاعة، ويعود ذلك إلى التسيير المحكم من طرف قائدها. ويتضح أن هذاالوباء، انتقل إلى إيالة الجزائر عن طريق الأسطول البحري، الذي بعث به السلطان العثماني لمساعدة صالح رايس (1552-1556م)[5] لمحاربة الإسبان وفتح وهران[6].

وانتقل الطاعون من وهران إلى الجزائر ما بين 1553 و1554م، وكان وقعه شديدا على المدينة الأخيرة ما بين 1553 و1556م، ويعود ذلك إلى تنقّل الحجاج على المدن والمناطق الريفية بوسط البلاد؛ وقد ذهب ضحيته العديد من السكان على رأسهم صالح رايس[7]، وكان الوباء

---

(1) محمة، المرجع السابق، ص. 48.

(2) Marchika, Op. cit., p. 24.

(3) موساوي، المرجع السابق، ص. 52.

(4) Marchika, Ibid.

(5) كان أحد رفقاء خير الدين بربروس في النشاط البحري، شارك في معركة بريفيزا سنة 1538م، وحكم الجزائر مابين 1552 و1556م، سيطر خلالها على تقرت وورقلة، وتمكن كذلك من عزل حسن الزياني عن تلمسان 1554م. انظر: فارس، محمد خير. **تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني الى الاحتلال الفرنسي**، ط. 1، مكتبة دار الشرق، بيروت، 1979م، ص ص. 291-292؛ بوعزيز، يحيى. **الموجز في تاريخ الجزائر**، ج. 2، ط. 2، ديوان المطبوعات الجامعية، 2009، ص. 17.

(6) شويتام، أرزقي. **المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني 1519-1830م**، دكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، 2005-2006، ص. 290.

(7) عزيز سامح، التر. **الأتراك العثمانيون في افريقيا الشمالية**، تر. محمود علي عامر، ط. 1، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1409هـ-1979م، ص. 196.

يتبعه دائما زحف الجراد كما حصل سنة 1556م[1]. وعرفت مدينة وهران وتلمسان تجدّد الوباء سنة 1557م، الّذي قضى على عدد كبير من سكان إيالة الجزائر[2].

انخفضت حدّة الطاعون ما بين 1573 إلى 1582م؛ ورغم تراجع أثر الطاعون إلاّ أنّ ذلك ارتبط مع انتشار شبح المجاعة، التي أدت إلى هلاك العديد من السكان حتى أصبحت الجثث منتشرة في أنحاء المدينة وشوارعها[3].

شهدت سنة 1584م عودة الوباء من جديد نتيجة وفود الأندلسيين [4] إلى مدينة الجزائر[5].

وكانت الأوبئة المنتشرة ما بين 1582 إلى غاية 1584م، ذات تأثير سلبي على الأهالي الجزائريين، حيث راح ضحيتها العديد من السكان يوميا[6].

2-الظاهرة الوبائية في عهد الباشوات (1587-1659م)

إن مجمل الوثائق لم تصرح بوجود وباء الطاعون خلال الفترة الممتّدة من 1584م إلى 1590م، ورغم تسجيل رجوع المجاعة والجفاف إلى جانب وباء الطاعون، فما بين سنتي 1591 و1597م، وذلك بسبب تظافر العوامل الطبيعية من اضطرابات مناخية نتج عنها جفاف وإتلاف المحاصيل الزراعية، مما أدى إلى حدوث المجاعة[7]. وهكذا، نرى أنّ العوامل الطبيعية ساهمت في أغلب الأحيان أو رافقت وقوع الأوبئة[8].

---

[1] علامة، المرجع السابق، ص. 160.

[2] Fray Diego de Haëdo, Abbé de Fromesta. **Histoire des rois d'Alger**. Traduite et annotée par H-D.de Grammont. Adolphe Jourdan, Alger, 1881, p. 112.

[3] محمة، المرجع السابق، ص. 4.

[4] عرفت الجزائر هجرات أندلسية عديدة، كانت نتيجة الضغط الذي تعرض له مسلمو غرناطة وباقي مناطق الأندلس البائدة؛ وقد فضل الكثير من الأندلسيين التوجه الى الجزائر، ويعود ذلك إلى تشجيع الحكام العثمانيين، الّذين وجهوا نشاطهم البحري نحو السواحل الأندلسية لإنقاذ المسلمين. انظر: الشويهد، المصدر السابق، ص. 139.

[5] نفسه.

[6] موساوي، المرجع السابق، ص. 57.

[7] نفسه، ص. 58.

[8] نفسه، ص. 59.

وعرفت سنة1601م ظهور وباء أطلق عليه اسم الزوخباو[1]، في الجزائر[2] ؛ وفي سنة 1604م، فتك الطاعون بعدد هائل من الأشخاص في قسنطينة، واستمر تسع سنوات مما خلف مجاعة أضرت بالعديد من البشر [3]، ثم تلتها سلسلة من الأوبئة حتّى عام 1614م[4].

عرفت مدينة الجزائر خلال الثلث الأول من القرن السابع عشر، انتشار الوباء المعروف بالزينا[5]، وكان ذلك في 1617م ؛ وكذلك في 1622م، بالإضافة إلى سنة 1632م[6].

في سنة 1637م عرفت الجزائر انتشار الوباء المعروف "بالحبوبت" الكبرى في عهد يوسف باشا[7] ؛ وكان لوباء "**الحبوبت**" الكبرى تأثير حاد على النفوس وفي نفس الوقت ذهب ضحيته العديد من الأشخاص[8]، وعاد الوباء المعروف بالزينا في 1639م[9].

تميزت الفترة الممتدة من 1639 إلى 1640م بتواتر الأوبئة، الّتي عانت منها مجموعة من المدن الجزائرية مثل بسكرة وقسنطينة ؛ كما تعرضت الجزائر لزلزال سنة 1639م والمجاعة التي رافقت الطاعون في نفس الفترة[10]، اشتدت وطأة الوباء سنة 1642م، حيث بلغ عدد الموتى ما يزيد عن الثلاثين ألف شخص[11].

---

(1) نوع من الطاعون يظهر على شكل طفح جلدية يشبه طاعون "الحبوبات". انظر: الشويهد، المصدر السابق، ص.139.

(2) سعيدوني، ناصر الدين. **النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني 1830/1792م، ويليه قانون أسواق مدينة الجزائر 1107-1117هـ/ 1695-1705م**، ط. 3، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012، ص. 139، ه. 3.

(3) شويتام، المرجع السابق، ص. 290.

(4) موساوي، المرجع السابق، ص. 61.

(5) يعتبر من بين الطواعين التي تكون على شكل دمل ويتوزع على كافة أنحاء الجسم حيث تتقيح البشرة ويؤدي الى وفاة المصاب به. انظر: سعيدوني، نفس المرجع السابق، ص. 140.

(6) الشويهد، نفس المصدر السابق، ص. 140.

(7) تولى الحكم ثلاث مرات الأولى سنة 1640، والثانية 1642، والثالثة 1647م، ويسمى سرهواش، وفي فترة حكمه الثالثة خرج ليعاقب الذواودة وغيرهم، وتولى بعده إبراهيم باشا. انظر: ابن المفتي، حسين بن رجب شاوش. **تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائه**، جمعها فارس كعوان، ط. 1، بيت حكمة، الجزائر، 2009، ص ص. 52-54.

(8) سعيدوني، نفسه.

(9) الشويهد، نفسه.

(10) موساوي، نفس المرجع السابق، ص. 63.

(11) التر، المرجع السابق، ص. 368.

أسهمت الحروب، والظروف البيئية ومخلفاتها من جفاف الأرض والمجاعة في انتشار الوباء سنة 1644م[1]، وكان ذلك في مدينة قسنطينة ونواحيها[2].

أما الفترة الممتدة ما بين 1648 و1650م، فشهدت استقرار الوباء الذي دام سنتين متتاليتين وأدى إلى خسائر هائلة؛ غير أنّ الأحوال أخذت تتحسن تدريجيا بعد ذلك[3].

3-الظاهرة الوبائية في عهد الآغوات (1659-1671م)

عرفت الجزائر سنة 1659م تحولات سياسية تمثلت في عهد الآغوات الذي حدثت خلاله مجموعة من الجوائح الطبيعية والبشرية، ونذكر من بينها الأوبئة التي استمرت لسنوات عديدة والتي أثرت بشكل معتبر على الحياة الاجتماعية والاقتصادية.

شهدت إيالة الجزائر سنتي1660-1661م انتشار أوبئة الطاعون في جميع البلاد الجزائرية وعرف بوباء قونية؛ وكذلك انتشرت "الحبوبة" القوية في الجزائر وبايلك الشرق ما بين 1661 و1666م[4]، وكان وقع ذلك عظيم حيث ذهب ضحيته عشرات الآلاف من الأشخاص[5].

أما الفترة الممتدة من 1666 إلى 1679م، فتميزت بتراجع الطاعون نسبيا وخموده[6]، وفي نفس الفترة انتشر وباء الزينا وكان أشد في سنة 1669م، وأيضا في 1671م[7] تفشى الوباء في

---

(1) قامت هولندا في 11 أفريل 1664م، إرسال "دي وريتر نحو الجزائر لإفتداء الأسرى، وكانت معه 4 مدافع و80 ألف فلوران وذلك لأجل تحرير الأسرى الهولنديون حيث بلغت الفدية 500 فلوران لكل شخص، وهو مبلغ كافي لتحرير كل الأسرى الهولنديون الذين نجوا من الطاعون في الجزائر في تلك السنة. انظر: فكاير، المرجع السابق، ص. 111.

(2) Marchika, Op. cit., p. 17.

(3) التر، المرجع السابق، ص. 374.

(4)عرفت بلاد المغرب الأقصى وباء الطاعون عام 1007هـ/1598-1599م، الّذي استمر حوالي خمسة عشر عاما وكان يشتد بين الفترة والأخرى ؛ و عاد الطاعون بقوّة خلال عامي1661/1662م و 1678/1679م، وقد ذهب ضحيته عدد كبير من الأشخاص، ولم يتخذ سكان المغرب الأقصى من طريقة للوقاية من ذلك الوباء، ما خلا التقرب الى الله تعالى والتوسل إليه ليرفع عنهم الوباء. انظر: العلوي، عبد الله بنصر. **من أعلام الفكر والأدب في فجر العولمة العلوية، أبو سالم العياشي المتصوف الأديب**، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، (1419هـ/1998م). نقلا عن: صحراوي، فتيحة. **الجزائر في عهد الداي حسين (1818-1830م)**، ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر 2، 2010-2011، ص. 37.

(5) محرز، أمين. **الجزائر في عهد الآغوات (1659-1671م)**، ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 2008، ص. 104.

(6) موساوي، المرجع السابق، ص. 65.

(7) الشويهد، المصدر السابق، ص. 140.

أنحاء الجزائر وتونس؛ وسنة 1670م شهدته كذلك تلمسان ووهران[1]. أما عن أغلب الأسباب التي كانت وراء انتشار الأوبئة خاصة وباء الطاعون في تلك الفترة، فنذكر منها: عبر المشرق من خلال طرق التجار والحج خاصة من المدن إزمير والإسكندرية وتونس، وكانت العدوى مرتبطة بحركية الأفراد والبضائع[2].

رابعا: طرق العلاج والتداوي قبل عهد الدايات:

عرفت الجزائر ممارسة الطب منذ الفترات القديمة، ويرجع ذلك إلى الحركة العلمية والتاريخية، لكن تلك الحركية عرفت تراجعًا خلال العهد العثماني، وارتكز الطب في الجزائر على ثلاثة محاور أساسية، وهي: الطب التقليدي وهو طب شعبي متوارث محليًا تعود بعض جذوره إلى الطب العربي الّذي ازدهر قبل قرون في المشرق والأندلس، والطب العثماني وهو طب ذو طابع عسكري مرتبط بالحروب الّتي كان يخوضها الجنود، والطب الأوروبي الذي تأتى من تشكّل جالية من التجّار والدبلوماسيين والقساوسة، إضافةً إلى الأسرى والأعلاج المسيحيين[3].

1-الطب التقليدي: وهو الطب الشعبي، وحسب حمدان خوجة كان ينتشر في البادية نظرا لكونها تضم أغلب السكان. وشكّل الطب التقليدي موروثا اجتماعيا بين الأجيال انتقل عبر العصور، واعتمد فيه على النباتات[4] وبعض العقاقير، مثل الحمى الذي يستعمل في علاجها عشبة العينون التي تعرف بجوز الأرض[5].

واعتبر الأوروبيون أنه عبارة عن دجل وشعوذة[6]، حيث كان يعتمد على المرابطين والطلبة الذين توارثوه عن آبائهم وأجدادهم، اعتمدوا على عقاقير خاصة بممارسة السحر والشعوذة[7]؛ وكان اليهود يتعاطون تجارتها، استعملت الأعشاب لعلاج مختلف الأمراض مثل الزهري

---

(1) البزاز، محمد الأمين. **تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر**، منشورات الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1992، ص. 54.

(2) محرز، المرجع السابق، ص. 105.

(3) بوحجرة، عثمان. **الطب والمجتمع في الجزائر خلال العهد العثماني 1519/1830م (مقاربة اجتماعية)**، ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة وهران، 2014-2015، ص. 119.

(4) نفسه، ص. 22.

(5) خياطي، مصطفى. **الطب والأطباء في الجزائر العثمانية**، منشوراتANEP، الجزائر، د.س، ص. 77.

(6) نفسه، ص. 73.

(7) محمة، المرجع السابق، ص. 50.

والجذام...إلخ[1]، فلم تكن هنالك صيدلية[2]، لبيع تلك الأعشاب والأدوية المصنوعة منها، وتوفرت هذه الأعشاب في السوق ولدى السكان في منازلهم[3].

اعتمد الجزائريين في طريقة العلاج والتداوي على زيارة المرابطين والأولياء الصالحين للحصول على البركة، من خلال وضع الأغراض داخل الضريح والعودة بعد أيام لتلك الأغراض، وكذلك أخذ من التراب المحيط بالضريح وخلطه بالماء، أو جمع الأعشاب المحيطة بالضريح [4].

ويعود ذلك إلى ذهنية الجزائريين الّتي سيطر عليها الفكر الخرافي والشعوذي، الذي قام بنشره أصحاب الطرق الصوفية[5]؛ وجعل الأهالي يؤمنون أن الشفاء يأتي عن طريق الإيمان بها.

لقد وصف رجال العلم والرحالة الأجانب الذين تمكنوا من زيارة الجزائر الثروة النباتية، التي تحتويها إيالة الجزائر[6]، وأكّد هؤلاء على تنوع الأعشاب المستعملة للعلاج من طرف الجزائريين[7].

2-الطب العثماني:

كان الطب العثماني يمارس من طرف الجنود، أما الحكام العثمانيون فكانوا كثيرا ما يعتمدون على الطب الأوروبي لتوفير العلاج لأنفسهم. نجد السلطة العثمانية أولت اهتماما بالرعاية الصحية

---

[1] موساوي، المرجع السابق، ص. 196.

[2] تعتبر حسب بعض الرحالة الألمان، عبارة عن مجموعة من القناني والكؤوس المملوءة، تحتوي على عقاقير وتوابل تحت إدارة أحد الأتراك، رغم ذلك التركي يجهل استعمال تلك التوابل والعقاقير، رغم ذلك يمتهن الصيدلية والطب.انظر: سعيدوني، **النظام المالي**...، المرجع السابق، ص. 149.

[1] نفسه، ص. 52.

[4] محمة، المرجع السابق، ص. 51.

[5] هي حركة دينية عرفها العالم الإسلامي في القرن الثالث الهجري، كانت منتشرة غالبا في البوادي، وقامت على فكرة التوكل على الله، وتدعو إلى الزهد وكثرة العبادة، والابتعاد عن الترف. شبّه ابن فكون انتشار الطرق الصوفية مثل الطاعون، بسبب استفحالها واستنادها على البدعة والدجل.انظر: السهلي، عبد الله بن رجين. **الطرق الصوفية نشأتها وعقائدها وأثارها**، ط. 1، دار كنوز إسيليا للنشر والتوزيع، الرياض، 1426هـ/2005م، ص. 10 ؛ عباد، صالح. **الجزائر خلال الحكم التركي 1830/1514م**، ط. 2، دار الهومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص. 23 ؛ الفكون، عبد الكريم. **منشور الهدايا في كشف حال من ادعى العلم والولاية**، تح. أبو القاسم سعد الله، ط. 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1408هـ-1987م، ص. 119.

[6] موساوي، نفس المرجع السابق، ص. 196.

[7] للمزيد أنظر الملحق رقم 4.

لفئة الجنود، الذين يأتون إلى الجزائر في سن متفاوتة، لذلك أوكلت حاجياتهم لباش جراح[1] ؛ أما كبار الموظفين في إيالة الجزائر، فكانوا يهتمون بشؤون صحتهم الخاصة بجلب أطباء لهم.

وأغلب الأطباء الموجودين في الجزائر كانوا أجانب، استقدموا إلى الجزائر سواء لأغراض سياسية أو تجارية أو كانوا أسرى حرب أو قناصل، ويرجع ذلك إلى عدم تشجيع تدريس الطب في المدارس من قبل الحكام العثمانيين في الجزائر[2] ؛ أما أهم المرافق الصحية الموجودة في الجزائر، والتي كانت مخصصة للجنود العسكريين، ومن بينها: **مستشفى الخراطين:** شيد سنة 1550م، من طرف حسن بن خير الدين[3]، وكان هذا المستشفى يتكون من خمسة غرف[4]، ويتولى رعاية المصابين من العسكريين[5].

3-الطب الأوروبي:

تعرفنا في العنصرين السابقين على الطب الشعبي والطب العثماني، وأهم الطرق المتبعة في التداوي في كلا الصنفين بحيث كان لكل من الطب الشعبي والعثماني خصوصية في طريقة العلاج ؛ وتفاوتت النسبة في النجاح في تقليل من خطورة الوباء وأعراضه. وفيما يلي سنعرض الطب الأوروبي، الذي يعتبر طبا وافدا إلى الجزائر نتيجة ظروف مختلفة.

كان الطب الأوروبي بالأساس مخصص لعلاج الأسرى المسيحيين؛ ولقد سمحت السلطة بتأسيس مستشفيات في السجون المركزية، كان تسييرها موكل إلى رهبان مكلفين بتطبيب

---

[1] في ظل غياب الاهتمام من طرف السلطة في ممارسة الطب، أوكلت مهمة القيام بالأعمال الطبية إلى الباش جراح وهو ينتسب إلى القوات الإنكشارية، حيث يرافق الجنود والجيش للعناية بالجرحى أثناء الحملات العسكرية، وكان الباش جراح بمثابة طبيب وصيدلي.انظر: المشهداني مؤيد محمود حمد، سلوان رشيد رمضان. "**أوضاع الجزائر خلال الحكم العثماني 1518-1830م**"، في: مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، جامعة تكرت، مج. 5، ع. 16، 1434هـ/2013م، ص ص. 433-434 ؛ بوحجرة، عثمان. نفس المرجع السابق، ص. 41.

[2] سعد الله، أبو قاسم. **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج. 2، ط. 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص ص. 416-417.

[3] خياطي، المرجع السابق، ص. 41.

[4] Don Diego de Haëdo, **Topographie et histoire générale d'Alger**. Traduit de l'espagnol par MM. Monnereau et Berbrugger, 1870, p. 174.

[5] خياطي، نفسه.

المرضى[1]. وكانت المستشفيات متصلة بالسجون عبر ممر، كان ينقل عبره المصابين في أثناء الإصابة بالوباء؛ وقد ذهب ضحية ذلك العديد من السجناء نتيجة الاتصال بالمستشفى[2].

قام الأب سيبستيان بزيارة إيالة الجزائر في 1546م، وكان مهتم بالشؤون الصحية للأسرى؛ وكانت له مبادرة لبناء مستشفى بها في سنة 1551م[3]، وسمي المستشفى باسم صاحبه.وفي سنة 1575م، أنشأ الراهب كبوشي مستشفى آخر في إيالة الجزائر[4]، والذي تلقى مساعدة في إنشاء المستشفى من قبل دون جوان النمساوي (Don juan d'Autriche)[5] الّذي قدّم مبلغًا ماليًا لصالحه[6]، الذي قدر بـ 60.000 جنيه، وعرفت الجزائر العاصمة سنة 1576م وجود بعض المستشفيات[7].

وأكّد الراهب برناردو مونروي (Bernard Monroy) في رسالة بتاريخ 16 ماي 1612م، الّذي ساهم في إنشاء مستشفى الثالوث المقدس، بالقرب من باب عزون، أنّ الجزائريين غالبا ما كانوا يترددون على هذه المستشفيات المسيحية ؛ ويرجع ذلك إلى انعدام المستشفيات الخاصة بالجزائريين، فلم يكن المرضى بالجزائر يخصون بالرعاية الصحية مثل الارقاء المسحيين[8].

ويعود ذلك التغيير إلى أن الطب بالجزائر كان في وضعية متدنية، حيث لم تكن هنالك قوانين أو مدارس يسير وفقها الطب، قبل كانوا الجزائريين يعتمدون على المعالجة بالأعشاب والنبات[9].

---

(1) خياطي، المرجع السابق، ص. 83.

(2) كاثكارت، جيمس لياندر. **مذكرات أسير الداي كاثكارت قنصل أمريكا في المغرب**، تر. إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص. 102.

(3) غطاس، عائشة. "**أوضاع الجزائر المعاشية والصحية أواخر العهد العثماني: المجاعات والأوبئة 1787-1830م**"، في: المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، ع. 17-18، 1998، ص. 369.

(4) نفسه، ص. 390.

(5) هو نمساوي الأصل (1545-1578م) وهو ابن شارلكان غير الشرعي، تولى قيادة أساطيل الحلف المقدس، وكان ذلك في معركة ليبانتو عام 1571م. انظر: بوحجرة، عثمان. المرجع السابق، ص. 60.

(6) نفسه.

(7) خياطي، نفس المرجع السابق، ص. 84.

(8) بوحجرة، عثمان. نفس المرجع السابق، ص. 267.

(9) لزغم، فوزية. "**الأطباء الأوروبيون في الجزائر خلال العهد العثماني (1519-1830م)**"، في: مجلة الدراسات التاريخية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر 2، ع. 15 و16، 2012-2013، ص. 162.

وفي عهد الداي شعبان آغا (1688-1695م)[1]، وقع اتفاق على ميثاق المستشفيات المسيحية، الّذي تمحور حول ثمانية بنود[2]، حيث تواجدت تلك المرافق بالقرب من أماكن إقامة المسيحيين بسجن الباشا وسجن البايلك، لكنها لم تكن ذات فعالية لقلة الإمكانيات المادية[3].

الأطباء المسيحيون:

فيما يخص قضية الأسرى الأطباء، نجدهم يعملون لصالح كبار الشخصيات والموظفين، وذلك لتعويض الفراغ الذي نجم عن عدم وجود طب حقيقي ممارس في أوساط المجتمع الجزائري[4].

ولم يكن وجود الأطباء الأوروبيين بالجزائر مرهون بالفترة العثمانية، إنما كان قبل ارتباط الجزائر بالباب العالي، ولكن في ظل حكم الأتراك تمتعوا بمكانة كبيرة، ومنحت لهم امتيازات خاصة؛ فنجد منهم من جاء بحثا عن الثروة أو بدافع الفضول أو في إطار بعثات علمية[5]. ويوجد من بين هؤلاء الأطباء المسيحيين من كان يأتي لغرض الجوسسة[6] والتبشير[7] والدعاية[8]؛

---

[1] تولى الحكم في 24 ذي الحجة 1101هـ/ 28سبتمبر 1690م، وكان ذلك خلفا للداي حسين ميزمورتو، وهو الداي الرابع للجزائر، وكانت فترته خلال 1100-1107هـ/1688-1695م.انظر: أمير، يوسف. **أوقاف الديات في مدينة الجزائر وفحوصها من خلال سجلات حاكم الشرعية 1080-1246هـ/1671-1830م**، ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر 2، 2009-2010، ص ص. 74-75.

[2] حررت تلك الاتفاقية أولا بلغة التركية وبعد ذلك ترجمت إلى الإسبانية، وكانت تحتوي على الامتيازات التي وافق عليها شعبان آغا، داي الجزائر اتجاه المستشفى الترنيتياني الموجود بالجزائر. كان صدور الوثيقة في شهر جمادى الأولى 1505هـ الموافق لـ 1694 م. انظر: خشمون، حفيظة. **مهام مفتديي الأسرى والتزاماتهم الاجتماعية في مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية**، ماجستير في التاريخ الاجتماعي لدول المغرب العربي، 2006-2007، ص ص. 78-82.

[3] غطاس، **أوضاع الجزائر المعاشية...**، المرجع السابق، ص. 369.

[4] قرباش، بلقاسم. **الأسرى الأطباء في الجزائر خلال عهد الدايات (1671-1830م)**، دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة معسكر، 2015-2016، ص. 271.

[5] بوحجرة، عثمان. المرجع السابق، ص. 28.

[6] هو النشاط الذي كانت تقوم به القوى المسيحية الأوروبية، وهي عبارة عن حرب هادئة تعتمد أساسا على الدسائس ؛ وتعتبر فئة الأسرى من بين الفئات التي مارست الجوسسة، حيت دونوا معلومات مهمة عن إيالة الجزائر في تقارير مفصلة. انظر: خشمون، المرجع السابق، ص. 115.

[7] لقد تمتعت الفئات المسيحية في الجزائر بالتسامح الديني، وذلك ما مكن آباء وقساوسة الفداء، من ممارسة مهامهم الروحية تجاه الأسرى، وكذلك القيام سرًا بدور الكنيسةالتبشيري، حيث كانت المؤسسات الاستشفائية بدورها تستقبل المرضى من الأتراك والحضر المسلمين في الجزائر، وكان ذلك غالبًا وقت انتشار الأوبئة والطواعين. انظر: نفسه، ص. 119.

[8] يتمثل في النشاط الدعائي الذي كان يقوم به قساوسة الفداء، وذلك من خلال تصوير معاناة الأسرى المسيحيين في الجزائر، إضافة إلى تبرير كيفية اعتناق الأسرى للإسلام. انظر: نفسه، ص ص. 94-95.

وبالتالي، تعددت أهداف الأطباء المسيحيين ؛ وعليه، يمكن تصنيف الأطباء الأوروبيين إلى أربعة أصناف نذكر منها: الأطباء الأحرار الذين كانوا تحت خدمة كبار الموظفين بالجزائر، والأطباء والأسرى حرب، والأطباء الرحالة الذين يأتون للأغراض العلمية، والأطباء الذين يعملون في الشركات الأوروبية في الجزائر[1].

ومن بين أسباب قبول الأطباء المسيحيين في الجزائر، تسامح المجتمع الجزائري مع مختلف الفئات الوافدة إلى الجزائر، إضافة إلى تدهور الخدمات الطبية والعلاجية كما أسلفنا؛ ونذكر من أشهر الأطباء المسيحيين:

1-**شعبان(Chaban)**: هو من أصل جنوي وفي نفس الوقت جراح؛ وبعد دخوله للإسلام، امتهن هذا العلج الّذي أصبح يلقب بشعبان حرفة الطب في مدينة الجزائر سنة 1579م[2].

2-سليمان(Soliman): تخرج من كلية الطب بجامعة ريمس (Rheims)، وهو طبيب فرنسي دخل إلى الإسلام حيث أنشأ عيادة في الجزائر، ما بين 1641 و1647م[3].

3-مانويل مورللو (Manuel Molleau): جاء إلى الجزائر سنة 1678م، وخصص ثروته لصالح شراء الأدوية للمرضى؛ لكن تم أسره من طرف الجزائريين، وبقي في مدينة الجزائر ثلاثة عشر عاما، حيث كانت له مساهمة في علاج المرضى الموبوئين، واعترافا لخدماته منحته السلطة الجزائرية حريته[4].

ومما سبق، يتضح لنا أن الأوبئة كانت شائعة قبل الوجود العثماني في الجزائر، ما يسمح لنا بالقول أن وطأة الأوبئة ازدادت بارتباط الجزائر بالباب العالي.

---

[1] بوحجرة، عثمان. المرجع السابق، ص ص. 28-30.

[2] نفسه، ص. 30.

[3] نفسه.

[4] قرباش، المرجع السابق، ص. 274.

الفصل الثاني

أسباب انتشار الظاهرة الوبائية في الجزائر

خلال عهد الدايات(1671-1830م) وعواملها

أولا: الأسباب الطبيعية والبشرية لانتشار الأمراض والأوبئة خلال عهد الدايات وعواملها

تعتبر الكوارث الطبيعية إحدى المسببات المساهمة في تفشي الأمراض والأوبئة، فهي لا تعتبر غريبة عن المجتمع الجزائري نظرا لتفاعله مع المناطق المجاورة حيث أثر وتأثر بالخارج، لذا تعرض لعدة كوارث طبيعية يرجع ذلك إلى مجموعة من الأسباب الطبيعية والبشرية ؛ ونذكر منها:

1/الأسباب الطبيعية:

هي مجموعة من الأسباب تعتبر من صنع الطبيعة لا يكون للبشر أي دور فيها، حيث شاءت إرادة الله أن تلعب المسببات الطبيعية دورا مهما في التأثير على الحالة الصحية وأولها[1]:

1/الجفاف:

يعود سبب الجفاف في الجزائر إلى اضطرابات التساقط وانقطاع الأمطار وفي بعض الفترات قد يستغرق الموسم الفلاحي كله، وبالنظر إلى صفات المناخ المتوسطي كظاهرة طبيعية بالجزائر الشمالية، ولعل ذلك ما جعل نزول الأمطار في فصل الربيع دلالة على حلول الرخاء [2]،ونرى في الكثير من الأحيان تولد قحط [3]شديد [4]، إذ للانقطاع المتكرر لتساقط الأمطار لسنة أو سنتين في شهري مارس وأفريل تتعرض البلاد لندرة المحاصيل الزراعية [5]

عرفت الجزائر نهاية القرن السابع عشر وبداية القرن الثامن عشر العديد من موجات الجفاف، حيث شهدت سنوات ما بين 1702و1717م جفاف مميت، ارتبط ذلك مع شبح المجاعة والجراد[6].

---

[1] أبو هويشل، محمد عطية. **الأحوال الصحية والطبية في مصر وبلاد الشام في العصر المملوكي 648-928هـ/1250-1517م**، ماجستير في التاريخ الإسلامي، جامعة غزة، 1433هـ/2012م، ص. 129.

[2] الزين، محمد. "**نظرة على الأحوال الصحية بالجزائر العثمانية في أواخر عهد الدايات**" في: مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ع. 17، ص. 131.

[3] لديه عدة معاني منها هو احتباس المطر والجذب، والجبات معناه: القحط الشديد، وقد يطلق على القحط: ايكحْطُ، وامحل البلد: إذ قحط فهو ماحل، وكان العرب يسمون القحط الشتاء لأن المجاعات كانت تصيبهم في شتاء البارد. أنظر: مزدور، المرجع السابق، ص. 16.

[4]سعيدوني، ناصر الدين. "**الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لولايات المغرب العثمانية الجزائر، تونس، طرابلس الغرب، من القرن العاشر إلى الرابع عشر هجري من القرن السادس عشر حتى القرن التاسع عشر الميلادي**"، في: حوليات الأدب والعلوم الاجتماعية، ع. 31، 1431هـ/2010م، ص. 47.

[5] الزين، نفسه.

[6] موساوي، المرجع السابق، ص. 112.

2/**الجراد:** يعتبر من الآفات الاجتماعية والكوارث الطبيعية، ذات الأثر البليغ على الحياة الاقتصادية والاجتماعية للجزائر في الفترة العثمانية، حيث زحف الجراد غالبا ما تتبعه المجاعة [1].

ساعدت الظروف المناخية السائدة بالجزائر على انتشار ظاهرة الجراد، وارتبط ذلك بظروف المناخ الصحراوي في الجنوب بحيث أثر بدوره على مناطق الهضاب العليا الرعوية في الوسط والمناطق الزراعية الخصبة التلية المحاذية للبحر في الشمال، ولقد عانت منه الجزائر بشكل مأساوي كل أربع أو خمس سنوات، لذا اعتاد السكان زحف الجراد عقب سنوات الجفاف[2]، فخربت أسراب الجراد المحاصيل الزراعية عامي 1778 و1779م، ولم يبق للناس طعاما سوى الجراد مع نهاية جويلية[3]، في حين كان الجراد المتسبب في المجاعات والقحط[4]، يشتد الجفاف لفترة طويلة حيث تهطل بعده أمطار متأخرة متسببة في حدوث فيضانات وهنا يظهر الجراد بكثرة وتتبعه مجاعة قوية[5]، ولعل ذلك ما حدث سنة 1800م لما اضطر الداي مصطفى باشا إلى استيراد الحبوب لتغطية نقص الإنتاج الزراعي[6]، أصابت مدينة الجزائر موجات من الجراد خلال سنوات 1798، 1799، 1800، 1804م، واجتاح الجراد قسنطينة كذلك سنة 1804[7].

---

(1) البحري، المرجع السابق، ص. 185.

(2) العايب، كوثر. **العلاقات الجزائرية التونسية خلال عهد الدايات (1711-1830م)**، ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الوادي، 1434-1435هـ/2013-2014م، ص. 18.

(3) سعيداني، محفوظ. **الواقع الاقتصادي للمجتمعات المغاربية في العهد العثماني (مقاربة تحليلية)**، من مطلع القرن 18م/12هـ إلى 1830م/1245هـ، ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر 2، 2011-2012، ص. 84.

(4) موساوي، المرجع السابق، ص. 51.

(5) الزين، المرجع السابق ص. 131.

(6) سعيدوني، ناصر الدين. **تاريخ الجزائر في العهد العثماني ويليه ولايات المغرب العثماني الجزائر، تونس، طرابلس الغرب**، ط. 2، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص. 220.

(7) الزين، نفسه.

3/ المجاعة [1]:

تعد المجاعة من بين الكوارث الطبيعية التي كانت تحصد أرواح عدد كبير من الأهالي جراء نقص الغذاء، وكانت بلاد المغرب كثيرا ما تتعرض إلى المجاعة، يرجع ذلك إلى قلة تساقط الأمطار التي بدورها تؤثر سلبا على تناقص المحاصيل الزراعية[2].

تعتبر المجاعة أحد مسببات الأمراض وهي تعود إلى أسباب طبيعية كالجفاف والفيضانات والقحوط[3]، حيث تحدث ابن خلدون عن أسباب المجاعات وكثرتها في الدول، وقد ذكر أنه في حالة عدم الاهتمام بالزراعة والفلاحة، والانشغال في الفتن وجمع الأموال والجبايات[4].

لذا غالبا ما يتبع زحف الجراد مجاعة تصاحبها الأوبئة[5]، وقد ذكر بعض المؤرخين أن المجاعة يتبعها وباء كما جاء في القول "المجاعة شديدة والوباء عظيم"[6]، مما زاد الوضع تأزما مثل سنوات 1740 و1744م عودة وباء الطاعون الذي نتج عن مجاعة عام 1738م[7].

لكن ذلك الارتباط بين الظاهرتين لا يعني وجود علاقة بينهما، ففي الكثير من الأحيان انتشار مجاعات مروعة في الجزائـر، لم يصحبها انتشار الأوبئة مثل سنة 1767م، ولعل بعض الأوبئة ظهرت في سنوات الرخاء في حين تعتبر المجاعات من بين أسباب انتشار الظاهرة الوبائية[8]، هذا وقد أصابت الجزائـــر العديد من المجاعات لسنوات ما بعد 1671م أدت إلى وفاة ما يزيد عن 20% من السكان مثل 1702، 1734-1735، 1740-1744م[9].

---

[1] هي حالة مرتبطة بنقص الغذاء أو انعدامه، وتعتبر ظاهرة اجتماعية واقتصادية، ويطلق على المجاعة العديد من المصطلحات مثل الألبة، وهي مأخوذة من التألب والتجمع، لأن ذلك يدل على تجمع الناس وخروجهم أرسالا، وأطلق على السنة التي تحدث فيها المجاعة العديد من التسميات منها السنة الغبراء، والسنة الحمراء والسنة الشهباء. أنظر: مزدور، المرجع السابق، ص ص. 15-16.

[2] كاظم ماضي الكندي، وفاء. "**قراءة في الأحوال الصحية والعادات الغذائية لمجتمع ولاية طرابلس الغرب [1835-1911م]**" في: مجلة كلية التربية الأساسية، جامعة بابل، قسم التاريخ، ع. 13، أيلول 2013، ص. 666.

[3] أبو هويشل، المرجع السابق، ص. 133.

[4] ابن خلدون، المصدر السابق، ص. 302.

[5] البحري، المرجع السابق، ص. 185.

[6] السعداوي، المرجع السابق، ص. 126.

[7] موساوي، المرجع السابق، ص. 112.

[8] السعداوي، نفسه.

[9] **التراث الجزائري المخطوطات في الجزائر والخارج، الوثائق المخطوطة بالمكتبة الوطنية الجزائرية (نماذج)**، تح. مختار حساني، ج.2، ط.1، منشورات الحضارة، الجزائر، 2009، ص. 40.

4/الزلزال[1]:

بالموازاة مع وطأة الأوبئة، كانت الجزائر تتعرض أيضا للهزات الأرضية ؛ وبالفعل، تعتبر آثار الزلزال من العوامل والأسباب المساعدة على انتشار المجاعة والأوبئة، نظرا للدمار والخسائر الناجمة عنها، في الوقت كان الاضطراب الذي نتج عن الزلزال، من جراء هجرة السكان والفلاحين من الحقول نتيجة تدهور الفلاحة، وكانت الزلازل بفعل تكونها الجيولوجي و شدة تواترها وطبيعتها الطوبوغرافية أحد الأسباب المؤثرة في الموسم الفلاحي[2].

أهم الهزات الأرضية التي ضربت الجزائر وعمالتها 1723، 1724، 1735[3]، 1762، 1770، 1774، 1787م[4]، وكان أعنفها زلزال مدينة وهران عامي 1790 و1802م[5]، هذا ويتبع سلسلة الكوارث الطبيعية ظهور منتظم للأوبئة[6].

5. ارتباط العدوى بالعوامل المناخية: إن المناخ أشد سطوة على البشر[7]، لذا تعتبر العوامل المناخية المتميزة بشدة الحرارة من بين العوامل الناقلة للعدوى، هذا وترتبط الأوبئة خاصة الطاعون بتهاطل الأمطار وارتفاع الرطوبة، وبالتالي يساعدان على ظهور الأوبئة، حيث عوامل المناخ ينتج عنها قحط وسوء تغذية، وبذلك تتبعها موجه حادة من الأوبئة[8].

---

[1] هي ارتجاج وحركة الأرض، إن الزلزال تكون بسبب كثرة الأبخرة الناتجة عن الشمس واجتماعها، "يعني الأبخرة تحت الأرض بحيث لا تقمعها برودة حتى تصير ماء ولا تتحلى بأدنى حرارة لكثرتها ويكون وجه الأرض صلبا بحيث لا تنفذ البخارات منها فإذا صعدت ولم تجد منفذا اهتزت الأرض منها واضطربت"، ومنها تخرج المواد تحت الأرض. أنظر: قنان، جمال. **نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث 1500-1830م**، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 1431هـ/2010م، ص. 282.

[2] سعيدوني، ناصر الدين. **دراسات تاريخية في الملكية والوقف والجباية الفترة الحديثة**، ط. 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2001، ص. 110.

[3] موساوي، المرجع السابق، ص ص. 112-113.

[4] شويتام، أرزقي. **نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره 1800-1830م**، ط. 1، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2011، ص. 61.

[5] سعيدوني، ناصر الدين. **الحياة الريفية بإقليم مدينة الجزائر، دار السلطان، أواخر العهد العثماني 1791-1830م**، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص.447.

[6] هابنسترايت. **رحلة العالم الألماني: ج.أو. هابنسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس (1145هـ، 1732م)**، تر. ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، تونس، د.س، ص. 68.

[7] أندري جوليان، شارل.**تاريخ إفريقيا الشمالية، تونس، الجزائر، المغرب الأقصى**، تع. محمد مزالي، البشير ابن سلامة، مؤسسة تاوالت الثقافية، د.ب، 1968، ص. 10.

[8] موساوي، نفس المرجع السابق، ص. 59.

6. ارتباط العدوى بالجائحة الحيوانية: إن الجائحة الحيوانية يقصد بها الوباء الذي يصيب الحيوانات وبفضل الهواء والرياح ينتقل إلى الإنسان[1]، وتميزت الجزائر بثروة حيوانية خاصة ما امتاز به بايلك الشرق عن غيره[2]، ولعل تعرض العديد من الحيوانات إلى الكوارث الطبيعية مما يؤدي إلى موتها وتراكم جثثها المتعفنة، لذا ينتج عنها وباء مميت ينتقل إلى الإنسان.

7. المستنقعات: إلى جانب العوامل السابقة انتشرت المستنقعات بالسهول الساحلية، حيث كانت الأراضي تعاني كثرة انتشار المستنقعات وعدم القيام باستصلاحها خاصة سهل متيجة [3]، حيث كان يسمى "سهل متيجة الموبوء" [4]، وعنابة وسهل وهران [5]، وكانت المستنقعات تسبب الحمى بمختلف أنواعها للأهالي القاطنون بجوارها [6]،لذا كانت المستنقعات مبعث للحمى الخبيثة الناتجة عن فوحات المستنقعات [7]، سادت أراضي متيجة العديد من المستنقعات في هذا الصدد يقال عنها: "إن المياه الراكدة التي تتجمع بمتيجة أثناء فصل الشتاء تشكل المستنقعات وتتسبب في الهواء الموبوء الذي يسود اثناء فصل الصيف"[8].

إلى جانب كونها رقعة غير صحية وموطنا للأمراض والأوبئة[9].

---

(1) موساوي، المرجع السابق، ص. 86.

(2) غطاس، عائشة. **العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال القرن السابع عشر 1619-1694م**، ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 1984-1985، ص. 111.

(3) يعتبر سهل متيجة من أهم السهول الساحلية بالجزائر، حيث يتميز بوفرة مياهه وعمق تربته وانتشار المستنقعات؛ أما طوله أكثر من مائة كيلومتر، وعرضه يبلغ على أقصى 35 كلم، تحده شمالا مرتفعات الساحل أما جنوبا سلسلة جبال الأطلس البليدي. أنظر: هابنسترايت، المصدر السابق، ص. 54.

(4) روبير أجرون، شارل."**كلمة مقتضبة لتطهير تاريخ الجزائر من الشوائب الاستعمارية**"، في: مجلة الأصالة الجزائرية، ع. 1، محرم 1391هـ/مارس 1971م، ص. 83.

(5) عبيد، مصطفى. **محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (العهد العثماني)**، د.د.ن، د.ب، د.س، جامعة المسيلة، ص. 69.

(6) غطاس، عائشة."**الوضع الصحي للجزائر خلال العهد العثماني**"، في: مجلة الثقافة، ع. 76، الجزائر، 1983، ص. 124.

(7) أجرون، نفسه.

(8) سعيدوني ناصر الدين وبوعبدلي الشيخ المهدي. **الجزائر في التاريخ العهد العثماني**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص. 57.

(9) بن عثمان خوجة، حمدان. **المرآة، لمحة تاريخية واحصائية على إيالة الجزائر**، تح. محمد العربي الزبيري، منشورات ANEP، الجزائر، 1982، ص. 53.

2/الأسبــاب البشريــة:

تطرقت بعض المصادر التاريخية للظاهرة الوبائية في الجزائر على أن الأسباب المباشرة في انتشار الأوبئة هو الإنسان الذي كان المتسبب في انتقال الوباء من خلال عدة نشاطات التي كان يمارسها، وفيما يلي سنوجز أهمها، وقبل ذلك سنبين أهم المواطن الأصلية لتلك الأوبئة:

تعد البلاد المصرية والإسكندرية خاصة وشبه الجزيرة العربية وليبيا[1]، وأقاليم السودان والدولة العثمانية مهد لتلك الأوبئة، ويتضح أن هذه البلدان هي المصدر الرئيسي للانتقال العدوى إلى بلاد المغرب خاصة الجزائر.

1/ صلة الجزائر بالعالم الخارجي:

كانت صلات الجزائر الخارجية تتم أساسا عن طريق البحر الأبيض المتوسط و يعود ذلك إلى انفتاحها على أقاليم السودان، وعلاقتها مع الدول الأوروبية واتصالها مع المشرق العربي عن طريق البحر المتوسط[2]، لذا تعتبر موانئ المشرق مصدرا للعدوى و لعل ذلك راجع إلى العلاقات مع موانئ الدول العثمانية[3]، وبذلك ساهمت الموانئ المصرية التي تقع على البحر الأبيض المتوسط مثل دمياط، رشيد، الإسكندرية من أهم المراكز التي تنتقل منها العدوى إلى المناطق الخالية من الأوبئة مثل الجزائر عن طريق التواصل معها، ويعد الطاعون[4]، من بين أهم الأوبئة التي كانت تنتشر عن طريق العلاقات التجارية وغيرها.

أكد لنا سعيدوني أن صلة الجزائر بالبحر الأبيض المتوسط من بين الأسباب الرئيسية لانتشار الأوبئة[5].

---

(1) غطاس، **الحرف...**، المرجع السابق، ص. 57.

(2) بونقاب، مختار. **الحياة الثقافية في بايلك الغرب خلال القرنين 18و 19م**، دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة سيدي بلعباس، 2015-2016، ص. 53.

(3) موساوي، المرجع السابق، ص. 53.

(4) إن وباء الطاعون لم يكن مقصورا فقط على الجزائر، لكن شمل أغلب الدول المطلة على البحر الأبيض المتوسط، ويعود ذلك إلى كثرة الاتصال ما بين تلك الدول، وكان مصدره الأصلي المدن التركية نظرا استقطابها لمختلف الأجناس التي تقوم بدورها بنقل الوباء من المدن التركية إلى بلاد المغرب. أنظر: مجهول. **سيرة خير الدين بربروس في الجزائر**، تر. عبد الله حمادي، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2009، ص. 84.

(5) سعيدوني، ناصر الدين."**الأحول الصحية والوضع الديمغرافي في الجزائر أثناء العهد العثماني**"، في: ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط. 1، دار الغرب الإسلامي، د.ب، 2000، ص. 595.

كما وضح شالر أن رمي الأموات المصابين بالطاعون في البحر يعد سببا لانتقال العدوى إلى الأشخاص السالمين من وباء الطاعون[1].

2/الفرق العسكرية:

تعتبر من بين الأسباب الرئيسية لانتقال العدوى من المناطق المصابة إلى النواحي الخالية من الأوبئة، وذلك عن طريق عملية التجنيد[2]، يأتي به الجنود المجندين[3]، ولقد مثل الجنود دورا بارزا في نقل العدوى سواء من الخارج إلى الداخل أو في المنطقة نفسها[4] من خلال جمع الضرائب على سبيل المثال وباء الطاعون الذي نشره الجنود في جنوب بايلك قسنطينة سنة 1786م[5].

3/عن طريق الحجاج :

إنّ مما لا شك فيه أن تجمع العديد من المسلمين ساعد على انتقال العدوى من المناطق الشرقية الموبوءة إلى الجزائر، ولعل ما تسببه الفئران التي تعيش على السفن التي تنقل الطاعون، لذا يطلق على ذلك السبب الطاعون الميناني[6]، في حين اعتبر الحج من بين الأسباب الرئيسية للانتقال الأوبئة من مناطق المشرق[7]، و يرى العديد من الباحثين أن انتقال الأوبئة عن طريق الحجاج عبر السفن القادمة من مكة المكرمة[8].

ذكر مارشيكا الدور الخطير الذي يلعبه الحجاج في تسرب العدوى إلى الجزائر[9]، بالإضافة إلى الطلبة القادمين من الشرق ساعدوا على نقل الأوبئة والأمراض إلى الجزائر[10].

---

(1) شالر، وليام. **مذكرات وليام، قنصل أمريكا في الجزائر [1816-1824م]**، تعريب وتعليق. المهدي البوعبدلي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص. 172.

(2) موساوي، المرجع السابق، ص. 168.

(3) شويتام، **نهاية...**، المرجع السابق، ص. 84.

(4) شلدون، واتس. **الأوبئة والتاريخ المرض والقوة والإمبريالية**، تر، تم. أحمد محمود عبد الجواد، مراجعة: عماد صبحي، ط. 1، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2010، ص. 13.

(5) موساوي، المرجع السابق، ص. 168.

(6) نفسه، ص. 167.

(7) محرز، المرجع السابق، ص. 117.

(8) مروان، محمد عمر. "**الأوضاع الصحية والاجراءات الوقائية في ولاية طرابلس الغرب خلال العهدين القرمانلي والعثماني الثاني، 1711-1912م**"، في: المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، ع. 25، زغوان،2002، ص. 302.

(9) Marchika, Op.cit,. p. 106.

(10) بونقاب، المرجع السابق، ص. 53.

4/القوافل التجارية:

كان للقوافل التجارية الدور الكبير في انتشار العدوى بين مختلف البلدان و الأقطار المجاورة، من خلال توافد التجار من المناطق الشرقية للجزائر [1]،حيث كان انتشار وباء الطاعون يتبع حركة سير الأفراد و البضائع [2]، لذا تعتبر الموانئ المصرية محطة تتوقف عندها أغلب السفن التجارية في حين تكون محملة بالبضائع الموبوءة [3]، لقد شكلت الموانئ المصرية مصدرا للعدوى، فكان التجار ينقلون العدوى منه عند توقفهم في هذه الموانئ، وبالتالي نشره نحو بلاد المغرب، خاصة أن التجار لم يكونوا يحترمون الإجراءات الوقائية[4]، و عرفت الجزائر توافد العديد من التجار من خلال الرحلات التجارية البرية و البحرية[5].

أما فيما يخص الموانئ العثمانية فكانت هي الأخرى معرضة لخطر الأوبئة خاصة وباء الطاعون وذلك باعتبارها الموانئ الرئيسية التي ترسوا بها السفن القادمة من الإسكندرية وتونس المحملة بالأشخاص الذين أصيبوا بالطاعون إلى جانب البضائع التي تحمل جرثم الوباء[6]، فكان للتجارة البحرية والبرية دور في انتشار الأوبئة، وهذا من خلال اختلاط القوافل التجارية فيما بينها، سواء بين القوافل القادمة من الإسكندرية متجهة نحو بلاد المغرب، وكانت تدوم رحلة هذه القوافل حوالي شهرين[7]، كان يلتقي فيها التجار من الشرق والغرب[8]، فينقلون العدوى في حالة وجود الوباء نحو مناطقهم الأصلية[9].

5/ارتباط العدوى بالجهاد البحري والأسر:

يعد الجهاد البحري من بين أسباب انتقال العدوى، حيث ساهمت السفن في نقل عدوى المرض التي كانت تحمل جرثوم الطاعون، فانتقال العدوى أمرا حتميا في مثل هذه الظروف[10]، وفي ظل

---

[1] سعيدوني، **تاريخ الجزائر...**، المرجع السابق، ص. 216.

[2] محرز، المرجع السابق، ص.117.

[3] شويتام، **المجتمع...**، المرجع السابق، ص. 295.

[4] نفسه، ص. 296.

[5] سعيدوني، نفسه.

[6] موساوي، المرجع السابق، ص. 166.

[7] نفسه، ص. 164.

[8] درياس، يمينة. **السكة الجزائرية في العهد العثماني**، ط. 1، دار الحضارة للطباعة والنشر والتوزيع، د.ب، 2007، ص. 197.

[9] موساوي، نفس المرجع السابق، ص. 165 ؛ بونقاب، المرجع السابق، ص. 53.

[10] موساوي، نفس المرجع السابق، ص. 83.

النشاط الممارس من قبل البحرية الجزائرية متمثل في الأسر، يرى مارشيكا أن الأسرى كانوا ينقلون الوباء إلى الجزائر[1]، حيث شهدت سنة 1682م أسر 700 عبد كانوا سببا في جلب الوباء، فلم يكن يتخذ لهم منازل خاصة[2].

6/الأسواق:

تعتبر الأسواق ملتقى التجار المطعونين بغيرهم، لذا ينتشر وباء الطاعون عن طريق تبادل البضائع، بالإضافة إلى احتكاكهم مع مجموعات سكانية سليمة من الوباء حيث يترددون على السوق للتزود بحاجياتهم[3]، سواء داخل الجزائر أو خارجها من خلال الرحلات التجارية[4]، وينتشر بذلك المرض في المدن والأرياف[5].

7/ارتباط العدوى بعامل الفرار:

إن فرار المصابين بالطاعون إلى الجزائر يعد سببا في انتقال العدوى إلى المناطق الداخلية[6]، فكانت السفن القادمة نحو الجزائر سواء تحمل الجنود أو البضائع كانت تحتوي على مجموعة من الفارين من مواطنهم الأصلية للاحتماء، لذا كانوا يحملون جرثومة المرض.

8/المراسلات:

ما زاد في انتشار الأوبئة في الجزائر دور المراسلات بين الجزائر والبلدان الأخرى، سواء الرسائل السياسية أو الإدارية وحتى الديبلوماسية، قد تتسبب في نشر الأوبئة خاصة وباء الطاعون من منطقة إلى أخرى، حيث يتسبب لمس مختلف الرسائل المغلقة بالقماش الأطلس لأنه ناقل جيد للعدوى، بالإضافة إلى العطور التي ترش بها المراسلات التي تكون أساسا سببا في نقل جرثومة الوباء[7].

9/الجلود[8]:

---

(1) Marchika, Op. cit., p. 106.

(2) Id., p. 61.

(3) موساوي، المرجع السابق، ص. 167.

(4) بونقاب، المرجع السابق، ص. 53.

(5) موساوي، نفسه.

(6) نفسه، ص. 94.

(7) نفسه، ص. 168.

(8) تعتبر الجلود من بين الصادرات الجزائرية مهمة آنذاك، يعود ذلك إلى تمتع الجزائر بثروة حيوانية هائلة، ولعل أهم المناطق المصدرة للجلود، عنابة والقل، والقالة وبجاية. أنظر: غطاس، **العلاقات...**، المرجع السابق، ص. 111.

شكلت الجلود المصدرة من الجزائر نحو إسبانيا مصدرا لنقل عدوى المرض، كما ساهمت كميات الصوف المستوردة من الجزائر نحو فرنسا في انتشار وباء 1786م[1].

10/الإنحراف الخلقي:

ساد في المجتمع الجزائري بعض الظواهر الاجتماعية، التي يمكن نعتها بالفساد الخلقي، ولعل هذه الأمراض الاجتماعية لم تقتصر على فئة واحدة أو جماعة، بل شملت مختلف شرائح المجتمع من رجال ونساء والحكام وعامة الناس، لذا تفشت مجموعة من مظاهر منها.

كانت ظاهرة اللواط منتشرة بين الجنود الإنكشارية خاصة اليولداش، بالإضافة إلى شيوع الزنا في المدن، حيث قام الداي حسين آخر دايات الجزائر ببناء حارة خاصة بالمومسات يقصدها الجنود الإنكشارية، إن مسألة الشذوذ كانت تحدث بصفة إنعزالية، لذا كان الأوجاق مولعون بالصغار أكثر من ولعهم بالفتيات، كما تبين أن البغاء (الزنا) كان مراقبا و محددا من طرف السلطة حيث سعى الداي علي خوجة إلى محاربة مثل هذه الظاهرة حيث أمر بوضع الحد الشرعي على من ثبتت عليه الزنا[2].

11/ السلوكات غير الصحية للمجتمع الجزائري:

تعتبر السلوكات غير الصحية من بين العوامل المساعدة على انتشار الأمراض الوبائية، من خلال عدم الاهتمام بالنظافة[3]، لقوله تعالى: ﴿**و ثِيَابَكَ فَطَهِّرْ**﴾[4]، لذا تعد النظافة وسيلة للوقاية من الأوبئة ومختلف الأمراض حيث يرجع حمدان خوجة أن المرأة الريفية معرضة للأمراض بسبب قيامها بأعمال شاقة و عدم اهتمامها بنظافة، و في هذا الصدد يقول:(نرى هؤلاء النساء اللاتي لا يتوقفن عن الأشغال، نرهن قذرات، لا يعتنين بهندامهن)[5]، و نجد أن الدين الإسلامي كان حريصا على الاهتمام بالنظافة و الطهارة، وقد شمل القرآن الكريم على العديد من الآيات التي تدعوا إلى الطهارة و النظافة نذكر منها:

قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ**﴾[6].

---

[1] موساوي، المرجع السابق، ص. 169.

[2] بحري، المرجع السابق، ص ص. 108-111.

[3] أبو هويشل، المرجع السابق، ص. 106.

[4] سورة المدثر الآية 4.

[5] خوجة، **المرآة...**، المصدر السابق، ص. 36.

[6] سورة البقرة الآية 222.

وقوله كذلك: ﴿**فيه رجَالٌ يُحبُونَ أَنْ يَتَطَهرُوا وَالله يُحبُ المُتَطَهرينْ**﴾[1].

12/ تلوث الطعام والمياه:

من العوامل التي أدت إلى إصابة السكان بالأوبئة والأمراض تناول الطعام ملوث وشرب مياه ملوثة[2]، وحتى يكون المأكل والمشرب صحي ونظيف يتطلب عدم تغير لونه ولا رائحته ولا طعمه، وإذا تغير يصبح نجسا ومضر بالصحة[3]، وعليه يعتبر تلوث الطعام والمياه عاملا في نقل جرثومة المرض.

13/عدم الاهتمام بنظافة المسكن وأماكن الإقامة:

حرص الإسلام على تنظيف المساكن من القاذورات والفضلات التي تؤدي إلى الإصابة بالأمراض، وعرفت الجزائر العديد من الأماكن التي كانت غير نظيفة منها حي اليهود الذي تميز بطرقه ضيقة والمظلمة تتصاعد منه روائح كريهة لإحتوائه على مذبح الطائفة، كانت سببا في تفشي الأوبئة في وسط السكان[4].

عاشت الجماعات البرانية في أكواخ خارج مدينة الجزائر كانت غير صالحة لسكن ساعدت على انتقال الأمراض والأوبئة[5]، ولعل أغلب السجون الموجودة في مدينة الجزائر كانت مليئة بالأوساخ والقاذورات لإحتوائها على العديد من الأسرى، و لذا كانت باعثة للأوبئة والأمراض وتفشيها وسط السجناء[6]، لكن ذلك لا يعني أن الجزائر كانت محلا للقاذورات والأوساخ، ولعل ذلك اقتصر على بعض الأماكن، أما أغلبية البلاد كانت نظيفة نتيجة التسيير المحكم من طرف الإدارة فكان كل من البساكرة والأغواطيون يسهرون على تنظيف الأزقة والأحياء[7]، مما يدل على التسيير المحكم من طرف الإدارة المحلية والمركزية في ظل الحكم العثماني.

---

(1) سورة التوبة الآية 108.

(2) الصاعدي، هيفة صالح. **الأوبئة والأمراض في العصرين الأيوبي والمملوكي في مصر والشام**، ماجستير في التاريخ الإسلامي، جامعة طيبة، 1433هـ/2012م، ص. 17.

(3) أبو هويشل، المرجع السابق، ص. 110.

(4) كاثكارت، المصدر السابق، ص. 102.

(5) شويتام، **المجتمع**...، المرجع السابق، ص. 102.

(6) كاثكارت، نفسه.

(7) شويتام، نفسه.

14/غياب الوعي الصحي:

لعب غياب الوعي الصحي دورا مهما في تفشي الأمراض والأوبئة، ويرجع ذلك إلى الجهل سواء بالنسبة للفقراء أو الأغنياء، لذا كانوا لا يؤمنون بالأطباء وإمكانية علاجهم، فارتبط ذلك بغياب الوعي بأبسط القواعد و المبادئ الصحية، وإنما يعتقدون في المشعوذين مما يؤدي إلى استفحال المرض و نهايتهم إلى الموت[1]، ولعل ذلك ما يفسر اعتماد الجزائريين في علاجهم على الطب الشعبي المتمثل في الأعشاب حيث الأدوية المستعملة للعلاج في ذلك وقت مستمدة من الطبيعة[2]، ومن بين العادات السيئة آنذاك الشرب في الإناء و التنفس فيه، ما يساعد على انتقال العدوى للشخص السليم في حالة شربه من نفس الإناء[3]. إلى جانب إنعدام الأساليب والتدابير الوقائية[4]، المتمثلة في نظام الكرنتينة[5] (الحجر الصحي) كون الحكام لم يكونوا يهتمون بأمور الصحة سواء من الناحية الطبية أو نظام الحجر الصحي[6].

15/ الفقر:

يعتبر الفقر من بين العوامل المساعدة على انتشار الأمراض والأوبئة، ولقد ارتبطت الحالة الاقتصادية والصحية للفرد، فنجد الفرد ميسور الحال باستطاعته توفير متطلباته من غذاء وعلاج ومشرب وملبس ومسكن صحي، عكس الفرد الفقير الذي نجده عاجز اقتصاديا أمام الاهتمام بظروف صحته والأخذ بوسائل الوقاية من الأوبئة[7]، وبالفعل لقد مثلت شرائح المجتمع الجزائري ذلك، فنجد طبقة الحاكمة التي وفرت لنفسها أطباء من الخارج أما بقية الطبقات الاجتماعية واجهت الأوبئة بوسائل بسيطة مثل العلاج والتداوي بالأعشاب الطبيعية[8].

---

(1) أبو هويشل، المرجع السابق، ص. 116.

(2) خياطي، المرجع السابق، ص. 74.

(3) أبو هويشل، نفس المرجع السابق، ص. 117.

(4) محرز، المرجع السابق، ص. 117.

(5) يطلق عليها حجر صحي أي الإقامة الجبرية لمدة أربعين يوما في معزل عند الثغور بالنسبة لكل وارد أجنبي، حيث تفرض الإقامة لمدة أربعين يوما على المريض سواء كان معديا أو مشكوك في أمره، ولقد أطلق الافرنج اسم الكرنتينة على عدد الأيام وهي [الأربعين المقدسة]، التي كان يقضيها كل مريض بالوباء في معزل قبل دخوله البلاد والتحقق من شفائه، أنظر: بن عثمان خوجة، حمدان. **إتحاف المنصفين والأدباء في الاحتراس عن الوباء**، تق، تح. محمد بن عبد الكريم، عاصمة الثقافة العربية، الجزائر، 2007، ص. 23.

(6) سعيدوني، **الأحوال الصحية...**، المرجع السابق، ص. 560.

(7) أبو هويشل، نفس المرجع السابق، ص. 118.

(8) المشهداني، رمضان. المرجع السابق، ص. 433.

16/ الألبسة والأغطية:

من العوامل الناقلة لوباء الطاعون، حيث غالبا ما تنتقل العدوى عن طريق الألبسة أو الأفرشة والزرابي والأغطية، وعلى الأرجح سببها في الغالب تلك البراغيث التي تختبئ في الأنسجة، وفي غالب الظن يتم استعمال ملابس الموتى بوباء الطاعون دون القيام بتطهيرها، لذا تحافظ على هذه البراغيث في الملابس مدة طويلة أسابيع أو شهور، يعود ذلك إلى عجز السكان على شراء لباس وغطاء جديد بفعل الحاجة، ولهذا كانت تجارة الرثاث التي يمارسها اليهود مربحة جدا في نفس الوقت خطيرة، ما دامت تتمثل في الألبسة المعدية تنتقل بطريقة مباشرة [1]، بالإضافة إلى تقسيم تركات المتوفين وزيارة المصابين بالأوبئة خاصة وباء الطاعون[2].

وفي حالة الأمراض المعدية الجلدية مثل الجرب يكون الاتصال المباشر عاملا لنقل العدوى من المصاب إلى الشخص السليم[3].

3. الأمراض والأوبئة.

1.3. الأمراض الوبائية.

تمتعت الجزائر بمناخ صحي ومعتدل إلى أنها كانت عرضة للأمراض والأوبئة ولعل أخطرها وباء الطاعون [4].

- **الطاعون (PESTE)**

يعتبر الطاعون من أخطر الأمراض التي عانت منه كل الفئات الاجتماعية بالجزائر خلال الحقبة العثمانية[5]، ولعله وباء خطير سرعان ما يتحول بصاحبه إلى الجنون تصاحبه تورمات مشوهة في الجسم وآلام شديدة تنتهي بموت المصاب[6]، تكرر ظهوره في شكل حلقات متعاقبة، حيث تسبب في تدهور الوضع الصحي وبدوره أثر على البنية الاجتماعية الجزائرية وعلى اقتصاديات البلاد وعليه فيما تتمثل أسبابه، سرعة انتشاره، أعراضه، أنواعه؟

---

[1] موساوي، المرجع السابق، ص. 169.

[2] محرز، المرجع السابق، ص. 117.

[3] شلدون، المرجع السابق، ص. 8.

[4] غطاس، **الوضع الصحي...**، المرجع السابق، ص. 124.

[5] موساوي، نفس المرجع السابق، ص. 149.

[6] عمر مروان، المرجع السابق، ص. 302.

أسبابه:

يؤدي فساد الهواء إلى حدوث الوباء، نتيجة مخالطته للعفن والنتن، كما أن تغير كيفية الهواء الذي يتنفسه الناس، إما أبرد أو أسخن أو أجف من المعتاد، ولعل تلوث الهواء نتيجة تعفن جثث الموتى الذين لم يدفنوا، بالإضافة إلى قدوم أشخاص مرضى حتما يؤدي إلى ظهور المرض والوباء في البلد الذي حلوا به[1].

تغير المياه وفسادها نتيجة ركود الهواء وتغير طبيعته، يتمثل ذلك في نقص المياه سواء مياه الأمطار أو الأنهار، أو زيادتهما بشكل مفرط، لذا يؤدي إلى حدوث المجاعات والأوبئة منها وباء الطاعون.

ارتبط فساد النبات الذي يخرج من الأرض بتلوث المياه التي يسقى به كونه غذاء الإنسان ما يسبب له الوباء عند تناوله، لذا تلوث وفساد الماء يترتب عنه نقص في المحصول ما يؤدي إلى نقص الغذاء وارتفاع سعره، وبالتالي ظهور مجاعة ووباء الطاعون [2].

تلعب الحيوانات والحشرات المصابة مثل البراغيث والفئران، دورا لنقل عدوى الطاعون للإنسان، لذا تعتبر من الأمراض المستعصية العلاج، يطلق عليه الموت الأسود[3]، من خلال تنقل الجرذان والبراغيث في السفن والمساكن وأماكن إقامة الإنسان فهو بذلك معرض لوباء الطاعون الذي تنقله تلك الفئران والحشرات[4].

ظهور مرض الطاعون مرتبط بالعامل النفسي، حيث الخوف الشديد من أي شيء كان، سواء ظلم حاكم يؤدي ذلك إلى اضطراب النوم وطول مدة السهر، حيث تضطرب وظائف الجسم وتجعله عرضة لمرض الطاعون، كذلك خوف الناس من الكوارث الطبيعية مثل القحط وغلاء الاسعار في أي سنة، يجعلهم ذلك في ضيق، يحاولون بذل جهد للادخار، الأقوات الكافية، ما يؤثر على أبدانهم فيتعرضون لوباء الطاعون[5].

سرعة انتشاره

تمثلت سرعة انتشار الأوبئة ووباء الطاعون خاصة فيما يلي حيث نميز بين نوعين من العدوى: العدوى السريعة الحادة والعدوى البطيئة، حيث النوع الأول العدوى تحدث بطريقة سريعة،

---

[1] أبو هويشل، المرجع السابق، ص. 148.

[2] الصاعدي، المرجع السابق، ص. 73.

[3] نفسه، ص. 74.

[4] بوحجرة، حسين. المرجع السابق، ص. 28.

[5] أبو هويشل، نفسه.

لذا أعراضه تظهر خلال ساعات قليلة، متمثل في وباء الطاعون، أما العدوى البطيئة فهي تأخذ فترة طويلة من الزمن[1]، ويرجع ذلك لشدة وكثافة سكان كل منطقة[2].

أما عن كيفية انتشاره في الجزائر، يتسرب في أغلب الأحيان عن طريق البحر، لذا أول من كان يتعرض له هم عمال الموانئ، فكان أغلبهم من البساكرة، ثم الأسرى المسيحيون بحكم تواجدهم في السجن القريب من الميناء[3]، ذلك ما أكده كاثكارت حيث قال: "وفي فترة وباء الطاعون 1702و1787م، كان عدد الذين أصيبوا بالعدوى من نزلاء هذا السجن أكبر ممن قتل في غيره من السجون، وذلك بسبب اتصاله بالمستشفى"[4] ؛ ثم يصيب المقيمين بالثكنات، ثم ينتقل إلى عمال الحمامات العمومية، كان أغلبهم من بني ميزاب، ثم يتسرب الوباء إلى الأحياء الشعبية حيث تنتشر الأوساخ والقاذورات، وسرعان ما ينتقل من المدن الساحلية إلى المناطق الداخلية، فكان الريفيون الذين يشتغلون في المدن سبب في انتقال العدوى إلى قراهم[5]، وبالتالي وباء الطاعون بصفة عامة والأوبئة الأخرى كانت تنتشر بشكل أوسع في المناطق ذات الكثافة السكانية المرتفعة.

أعراضه

لجأت المصادر إلى وصف أعراضه، التي كانت تصيب المريض وتمثلت في ارتفاع درجة الحرارة وفي نفس الوقت غثيان إلى أن يبصق دما فيموت المصاب في الحال، إلى جانب أهل داره يتبعونه واحدا تلو الآخر في ليلة واحدة أو ليلتين يفشوا جميعا، وظهور أورام مثل بثور وراء الأذن، مثل كبة وخيارة، وهي أنواعه من الأورام تظهر تحت الإبط، يبصق المريض دماء تميل إلى لون الأصفر، يصبح وجه المريض أصفر، بعد 50 ساعة يتوفى المصاب[6].

---

(1) شلدون، المرجع السابق، ص. 9.

(2) موساوي، المرجع السابق، ص. 154.

(3) شويتام، **المجتمع...**، المرجع السابق، ص. 292.

(4) كاثكارت، المصدر السابق، ص. 102.

(5) شويتام، نفس المرجع السابق، ص ص. 292-293.

(6) أبو هويشل، المرجع السابق، ص. 196.

أنواعه

- النوع الأول: الطاعون الخراجي أو الدملي[1]، أو العقدي أو الدبلي[2]

هو عبارة عن دماميل قاتلة، حيث يطلق عليه اسم(Bubonic) مشتق من (Bubon) ؛ في حين أن الدبل يظهر في المغابن[3]، أو في الجسم ذو اللحم الرخو، ويطلق على الطاعون الدملي اسم الغددي[4].

- النوع الثاني: الطاعون الرئوي (Peste pulmonaire ou pneumonique)

يعتبر الطاعون الرئوي أخطر من النوع الأول وتظهر أعراضه في نفث الدم، يكون مصحوب بمجموعة من نوبات السعال[5]، وحسب ما أشار إليه ابن خلدون كلما كان فساد الهواء قويا، حدث المرض في الرئة وقوله: "هي الطواعين وأمراضها مخصوصة بالرئة"[6].

كان الطاعون الرئوي يحدث في نفوس السكان الرعب والخوف لأنه يمثل الموت المحتم، وفي هذا الصدد يقول ابن أبي حجلة: "أنه يتبع أهل الدار فمن بصق أحد منهم دما تحققوا كلهم عدما"[7].

النوع الثالث:

يعرف بالطاعون الإنتاني، حيث اصطلحت عليه تسمية (Septicémique)، ولعل يقصد به إنتان دموي[8]، كما يعرف كذلك بالطاعون التسممي[9]، أو بالطاعون التعفني (Peste Septicémique primaire)، لذا يصاب المريض بحمى شديدة، ففي أغلب الأحيان تتحول البشرة إلى اللون

---

(1) هو الأكثر انتشارا في إيالة الجزائر، ويسمى بالطاعون خراج أي دملة حمراء، التي تخرج تحت الإبط وفي الرقبة أو وراء الأذن وفي ثنية الفخذ، حيث تتقيح وتنتشر في كامل الجسم، وأعراضه تتمثل في إصابة المريض بصداع قوي، مصحوب بالغثيان والتقيؤ، وكذلك آلام المفاصل وارتفاع درجة حرارة الجسم تكون أكثر من (40.5°)، وتتسارع نبضات القلب والتنفس مصحوب ذلك برعشة تنتهي بموت المصاب. أنظر: موساوي، المرجع السابق، ص. 151.

(2) هو عبارة عن مرض ينتشر عن طريق الفئران المصابة. أنظر: سكوت سوزان وكريستو فردنكان. **عودة الموت الأسود أخطر قاتل على مر العصور**، تر. جرجس حنا، مراجعة هاني فتحي سليمان، سارة عادل، مؤسسة هنداوي سي آي سي، د.ب، 2017، ص.14.

(3) جمع مغبن وهو الإبط وبواطن الأفخاذ. أنظر: مزدور، المرجع السابق، ص. 21.

(4) السعداوي، المرجع السابق، ص. 131.

(5) موساوي، نفس المرجع السابق، ص. 152.

(6) ابن خلدون، المصدر السابق، ص. 302.

(7) السعداوي، نفسه.

(8) مزدور، نفس المرجع السابق، ص. 22.

(9) السعداوي، نفسه.

البنفسجي، ويرافقها إرتعاش ونوبات من العطش المتكررة وتنتهي بموت المريض، لأن الطاعون التعفني غالبا ما يؤدي إلى موت المصاب[1].

- **الكوليرا (le choléra)**

تعد الكوليرا من الأمراض الوبائية المعدية، حيثما وجدت لها بيئة مناسبة[2]، يطلق على وباء الكوليرا الهواء الأصفر[3]، وعرف بالحجاز بالريح الأصفر، وأصله من الهند وعبر عنه في بلاد المغرب بالكوليرا[4]، في حين ظهر أول مرة في السينغال سنة 1817م[5]، حيث تعتبر الكوليرا أخطر الأوبئة بعد الطاعون، وكان سريع الانتشار ينتشر عن طريق شرب المياه الملوثة وكذلك عودة الحجاج من مكة المكرمة[6]، أو يأتي به المسافرين من الموانئ العثمانية، لذا تسبب في كوارث بشرية فادحة[7]، ولعله يصيب الأمعاء الدقيقة مما يحدث إسهال معوية شديد وتقيؤ، وصدمة بدنية، وجفاف الجسم، وشحة البول، ويخضع وباء الكوليرا للعوامل المناخية يكثر ظهوره في المناطق الحارة، ويقل في المناطق المعتدلة المناخ.

عرفت الجزائر الكوليرا ما بين 1817 و1823م، وخلف بمدينة قسنطينة حوالي 700 من الموتى، في حين أخذ يتناقص إلى أن انقطع، لكن بصفة كبيرة كان ظهوره بداية الاحتلال الفرنسي[8].

- **الجدري (Variole)**

عرفت الجزائر وباء الجدري منذ القديم، ويطلق عليه اسم الجذري أو تزارزايت يعتبر الجذري من الأمراض الجلدية شديدة العدوى[9].

---

(1) موساوي، المرجع السابق، ص. 152.

(2) الصاعدي، المرجع السابق، ص. 95.

(3) محمد ، محمد الحاج قاسم. "**الأمراض والأوبئة التي اجتاحت العراق في العهد العثماني ووسائل الوقاية منه**" في: المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، ع. 25، زغوان، 2002، ص. 249.

(4) بن أبي ضياف، أحمد. **إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، تح. لجنة من وزارة شؤون الثقافية، ج. 3، مج. 2، الدار العربية للكتاب، تونس، 1999، ص. 129.

(5)محمد الحاج قاسم ، نفسه.

(6) الكندي، المرجع السابق، ص. 664.

(7) عمر مروان، المرجع السابق، ص. 304.

(8) علامة، المرجع السابق، ص. 169.

(9) نفسه، ص. 149.

وهو من بين الأمراض الفتاكة[1]، وكان ينتشر في العديد من المناطق، خلال موسم الأمطار تكثر الإصابة به، ارتبطت عدوى المرض بالاتصال والاحتكاك بين بلاد المغرب والمدن الإفريقية من بينها السودان، يعتقد أن الوفيات المتكررة بهذا المرض ترجع إلى تخوف الأهالي من الأطباء الأجانب خاصة إعتمادهم على الطب الشعبي[2]، وكان يطلق على الشخص المصاب بالجذري "مجدر"[3]، ويظهر الجدري على شكل بقع حمراء ما تلبث أن تتحول إلى حويصلات صلبة تتقيح وتترك تشوهات على الوجه في حالة عدم معالجتها، وقد يصيب المريض بالعمى والصم، وأكثر الفئات عرضة لهذا المرض هم الأطفال، إن تبادل الأغراض بين الإنسان المصاب والسليم قد تسبب مرض الجدري[4].

من بين أعراضه ارتفاع حرارة الجسم ما يزيد عن 40 درجة، والإرتعاش، وكذلك التقيؤ، وظهور وجع في العمود الفقري والرأس، ليس هناك فرق بين الفصول حتى لو نقص عدد الموتى، لكن سرعان ما يعود ثانية ويتصاعد، لعل من بين أهم الفترات التي ظهر فيها وباء الجدري سنة 1803 و1804م، حيث بلغ عدد الضحايا ما بين 2000 و3000 شخص في مدينة الجزائر[5].

- **التيفوس (الحمى الصفراء) (Fièvre Jaune)**

يعتبر التيفوس أحد الأمراض الوبائية المعدية ويطلق عليه اسم الحمى الصفراء، لذا تعتبر كل من برشلونة ومنطقة قرطاجنة مصدر التيفوس أو الحمى الصفراء التي هي حمى الربيع، حيث عرفتها الجزائر سنة 1810م تتمثل أعراضه في حمى شديدة مع قشعريرة وآلام في العضلات والمفاصل، بالإضافة إلى سعال شديد وفقدان شهية[6].

2.3. الأمراض غير الوبائية

أشهر الأمراض الجلدية التي انتشرت في الجزائر خلال العهد العثماني هي: الجرب (Gale)، الزهري (syphilis)، البرص (Lèpre)، الجذام (Eléphantiasis)، وسوف نحاول فيما يلي ذكر أخطرها وأكثرها انتشارا.

---

(1) عمر مروان، المرجع السابق، ص. 504.

(2) الكندي، لمرجع السابق، ص. 668.

(3) أبو هويشل، المرجع السابق، ص. 163.

(4) علامة، المرجع السابق، ص. 149.

(5) نفسه.

(6) Marchika, Op. cit., p. 15.

- **الزهري (syphilis)**

هو مرض جلدي يصيب الإنسان وفي نفس الوقت معد، تنتقل العدوى عن طريق الممارسة الجنسية، لم يعرف إلا في الفترة الحديثة أطلق عليه اسم "باريس"[1]، ويصاب الإنسان بتعقيدات خطيرة في الأوعية الدموية، وفي النخاع الشوكي والمخ، ويرجع ظهور المرض إلى طرد الملك الإسباني فرديناند (Ferdinand) اليهود من مملكة بعد سقوط غرناطة سنة 1492م، لذا تزوج حضر مدينة الجزائر من النساء اليهوديات، وبذلك انتشرت العدوى بالجزائر لقد أطلق عليه الجزائريون اسم "الإفرنجي"، نظرا لانتشاره وسط البحارة الأوروبيين، الذين ربطتهم علاقة مع الجزائر، من بين أعراضه الصلع وتساقط الأسنان، مع ظهور تقرحات في الأنف وأجزاء من الوجه[2]، أطلق على الزهري اسم"مرض الفرنك" يعود أصله إلى الأوروبيين، إن أهم الطرق مستعملة لعلاجه نبت الفشاع يتم طحنه حتى يصبح مسحوق وخلطه إما مع الطعام أو ماء أو استنشاقه[3].

- **الجذام (Eléphantiasis)**

الجذام من الأمراض التي عرفت انتشارا في الجزائر، يعتبر الجذام من الأمراض العضالية، سمي بالجذام نتيجة تجذم وتقطع الأصابع[4]، أما أسباب مرض الجذام ترجع إلى استنشاق هواء محمل بالمرض واحتكاك مع المرضى[5]، بالإضافة إلى العوامل الطبيعية المناخية من بينها الإقامة في الأماكن الرطبة[6] يمكن علاجه لذا الذي تصيبه هذه العلة ينعت بالمجذوم وأعراضه تتمثل في سواد اللون وزوائد جلدية متحجرة[7].

- **الأمراض الصدرية**

- السل (الدرن)

---

(1) خوجة، **المرآة...**، المصدر السابق، ص. 67.

(2) علامة، المرجع السابق، ص. 212.

(3) خياطي، المرجع السابق، ص. 75.

(4) علامة، نفس المرجع السابق، ص. 214.

(5) أبو هويشل، المرجع السابق، ص. 158.

(6) علامة، نفس المرجع السابق، ص. 214.

(7) أبو هويشل، نفسه.

يعرف مرض السل باسم الرقيق، حيث يظهر في الأماكن كثيرة الإزدحام في المسكن يصاحبها سوء التغذية والتهوية، مما يسهل نقل المرض من خلال التنفس والرذاذ المتنقل، أعراضه الضعف والهزال وسعال شديد ونفث الدم[1].

- **السعال الديكي (coqueluche)**

هو من بين الأمراض البيكترية تصيب الجهاز التنفسي، حيث يظهر على شكل سعال قوي يشبه صياح الديك، تستمرمدته ما بين أربعة إلى ثمانية أسابيع[2].

- **الحمى وأنواعها:**

- **الملاريا أو حمى المستنقعات (malaria/paludisme)**

ارتبطت الملاريا بالمستنقعات، وذلك يعود لكثرة انتشارها قرب المستنقعات والمناطق ذات المياه الملوثة، مثل سهل متيجة، حيث تسلطت الحمى على سكانه باستمرار حتى تأقلموا معها[3]، وهذا ما جعل حمدان خوجة يتخوف من زيارة أملاكه في هذا السهل، وبهذا الشأن قال: "إني أزور هذا السهل مرة في ربيع كل سنة لأنني أخشى الحمى في الفصول الأخرى، وحتى في هذه الفترة أخذ معي ماء الكولونيا وغيره مما يقيني شر الهواء الفاسد، كما أتزود من ماء مدينة الجزائر أشرب منه. إن هذا السهل يشبه الغدير في الشتاء، وفي الصيف والخريف تستوطنه الحمى باستمرار إلى درجة أنه من الصعب جدا إتقاؤها"[4]، فهي تتمركز حسب مناخ المنطقة، تحدث الأمطار الطوفانية ناتجة عن الفيضانات، العديد من المستنقعات ونظرا لرطوبة تنتشر الملاريا[5]، ومن بين أعراضها التهاب المعدة والأمعاء وإحساس المريض بصداع[6].

- **الحمى المتقطعة (fièvre intermittente)** اختلط الأمر على الباحثين في التفرقة بين حمى الملاريا والحمى المتقطعة لأنها تتشابه في أسبابها وأعراضها، لكن نجدهم يتفقون على أن الحمى

---

(1) الكندي، المرجع السابق، ص. 668.

(2) علامة، المرجع السابق، ص. 201.

(3) موساوي، المرجع السابق، ص. 173.

(4) خوجة، **المرآة...**، المصدر السابق، ص ص. 49-50.

(5) جبار، صليحة. **الجزائر في عهد الداي علي باشا 1754-1766م**، ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر 2، 2010-2011، ص. 13.

(6) موساوي، نفس المرجع السابق، ص. 175.

المتقطعة تصيب القاطنون بالقرب من الأماكن الرطبة مثل الأنهار والسهول مثل المستنقعات بالإضافة إلى الحرارة وأشعة الشمس[1].

إلى جانب الحمى الثلاثية والرباعية[2]، وهي أنواع من الحمى المتقطعة، تظهر في فصلي الخريف والشتاء وتهلك عدد كبير من السكان، أما الحمى الثلاثية تعتبر أبسط أنواع الحمى المتقطعة تصاحب المريض بداية ونهاية الوباء، بالإضافة إلى الحمى اليومية، والحمى الخبيثة أو القاتلة[3].

- الحمى الراجعة (récurrente)

الحمى الراجعة هي من الأمراض المعدية، تسببها لسعة قمل جسد، وتنتقل العدوى من شخص مصاب إلى شخص سليم، من أعراضها ارتفاع درجة الحرارة ما بين 39° و40°م، وإمساك وفي بعض الأحيان إسهال وتنخفض درجة الجسم مصحوب بغثيان وآلام في الرأس، وسببها هو المستنقعات[4].

ثانيا: الظاهرة الوبائية وأسباب انتشارها ما بين 1671و1711م

1. الأمراض الوبائية أسبابها ووقعها ما بين 1671و1711م

1.1. أسبابها

عرفت المرحلة الممتدة ما بين 1671 و1702م سلسلة من الأوبئة عامة والطاعون بصفة أخص، حيث تكرر ظهورها بصفة مستمرة وتكرارية في نفس الوقت، لذا شهدت الجزائر سنة 1675م انتشار الطاعون من خلال تسرب المرض من إيالة تونس عن طريق البر، وما لبث أن وصل الطاعون إلى مدينة وهران بسبب بحارة إسبانيين، وما ساعد على انتشار الوباء في شهر مارس فيضانات أودية مدينة متيجة[5]، ولقد أشار مارشيكا إلى الرسالة التي حررها قنصل فرنسا في الجزائر التي تحدث فيها عن وباء الطاعون ووقعه على الأسرى[6].

---

(1) علامة، المرجع السابق، ص. 189.

(2) سعيداني، المرجع السابق، ص. 85.

(3) علامة، نفس المرجع السابق، ص ص. 190-191.

(4) نفسه، ص ص. 188-189.

(5) موساوي، المرجع السابق، ص. 65.

(6) Marchika, op. cit., p. 53.

تفشى عام 1702م مرض الطاعون وانتشر في ذلك الوقت وقد دمر السجناء الإسبانيين[1]، إلى جانب نشوب حريق سنة 1709م[2]، وعرفت سنوات ما بين 1700 و1706م، انتشار الوباء في كامل بلاد المغرب [3].

ضرب الطاعون وهران ما بين 1678 و1680م، وانتقل إلى مدينة الجزائر سنة 1681، إلى جانب انتشار المجاعة والطاعون وساعدت الحروب التي كانت بين الشعوب والقبائل على انتشار العدوى التي دامت طوال سنوات 1682 و1691م[4].

عرفت سنة 1691م تسلط وباء الطاعون وسمي ذلك العام "عام البرورو" واستمر المرض خلال سنوات 1692 و1694م، وقد سميت بسنة الثلج وظل وباء الطاعون يتسلط على إيالة الجزائر حتى عام 1700م[5].

خمود الطاعون ما بين 1700 و1717م وعودته سنة 1718م

عرفت مدينة الجزائر ما بين سنوات 1700 و1717م خمود الطاعون وتمتعها ببيئة صحية، لكن طرابلس ومصر وإيالة تونس عانت منه بشكل مفجع[6]، وفي الوقت ذاته عانت مدينة الجزائر من ضربات الزلازل أيام 3 إلى 5 فيفري سنة 1716م[7]، وتكررت الزلازل يوم 26 فيفري 1716م، وكذلك سنة 1717م حيث دامت تسعة أشهر[8] ؛ بالإضافة إلى الجفاف الذي استمر حوالي ستة سنوات إلى جانب اجتياح الجراد، الذي نتج عنه مجاعة، مما أدى إلى وباء الطاعون سنة 1718م، حيث انتشرت العدوى من خلال سفينة إنجليزية كانت تحمل العدوى، جاءت من

---

(1) Marchika, op. cit., p.73.

(2) موساوي، المرجع السابق، ص.65.

(3) Khelifa Hammache, «**Le décès dans la ville d'Alger à l'époque ottmane à travers les contrats de jurStice charaïque** », in : Arab historical review for ottoman studies, publication de la F.T.E.R.S.I, Tunis, n° 45-46, 2012, p. 124.

(4) موساوي، نفسه.

(5) نفسه، ص. 66.

(6) نفسه، ص. 68.

(7) هانبستراىت، المصدر السابق، ص. 68.

(8) سبنسر، وليم. **الجزائر في عهد رياس البحر**، تعريب وتعليق عبد القادر زبادية، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2006، ص. 59.

الإسكندرية تحمل بضائع من الأقمشة القطنية والحريرية، كما تعرضت الجزائر إلى حريق مروع عام 1723م[1].

2.2. وقعها

فتلك الطواعين والأوبئة أدت إلى خسائر بشرية هامة، بالإضافة إلى تخوف السكان من حدة وشدة الطاعون، إلى جانب وطأة الطاعون ما بين سنوات 1698 و1700م الذي أحدث خسائر بشرية تراوحت ما بين 25000 إلى 45000 سنويا[2]، أما وباء 1718م نتج عنه موت قائد السفينة الإنجليزية محملة بالبضائع وركابها[3]، بالإضافة إلى هروب السكان نحو الأرياف نتيجة تكرار الزلزال عامي1716و1717م[4]، كما أحدث حريق عام 1723م فزع وسط سكان مدينة الجزائر وذلك يرجع إلى احتراق ربع المدينة، وعليه أصبحت الأسواق تبيع لحوم الناس [5]. كما أن تلك الأوبئة أدت إلى تناقص اليد العاملة التي أثرت بدورها على الحياة الاجتماعية والاقتصادية، وبذلك تراجع الإنتاج الفلاحي والأنشطة الحرفية، حيث ركدت التجارة، فأثر ذلك على اقتصاديات البلاد[6].

ثالثا: الأمراض الوبائية أسبابها ووقعها ما بين 1711و1791م

عرفت الفترة المتأخرة من الحكم العثماني تراجع الوضع الصحي بالجزائر لتكرر الأوبئة والأمراض في ظل غياب الإجراءات الوقائية.

1/-أسبابها

شهدت الجزائر بداية القرن 18م، خمود الطاعون من 1718 حتى 1730م ليعود من جديد سنة 1732م، بسبب انتقال العدوى عبر ثلاثة سفن جزائرية قادمة من تونس إثر رمي جثث الأموات بالطاعون في البحر أكدت المراسلات القنصلية إلى الإدارة الصحية بمارسيليا أن الوضع الصحي بالجزائر قريب إلى الجيد سنة 1733م [7].

---

(1) Marchika, Op. cit., p. 75.

(2) موساوي، المرجع السابق، ص. 66.

(3) Marchika, Ibid.

(4) سبنسر، المرجع السابق، ص. 59.

(5) موساوي، نفس المرجع السابق، ص. 69.

(6) سعيداني، المرجع السابق، ص. 86.

(7) موساوي، نفس المرجع السابق، ص. 72.

عرفت إيالة الجزائر خلال سنوات 1734-1737م عودة الطاعون من جديد بالإضافة إلى مجاعة مروعة سنة 1737م عرف بعام الطاعون، لم يقتصر المرض على حواضر الجزائر بل تعداه إلى أريافها[1].

عاد وباء الطاعون سنة 1740م استمر حوالي ثلاث سنوات[2]، عرف بشدته خلال فصلي الربيع والخريف، ولعله نتج عن المجاعة التي عاشتها الجزائر سنة 1738م إن مصدر وباء 1740م يعود إلى سفينة فرنسية قدمت من الإسكندرية حاملة للعدوى، حيث انتشر الوباء في كل بلاد الجزائر[3]، ولقد تبين أن هذا الوباء عبارة عن الطاعون الخراجي أو الدملي، لذا تفاقم الأمر إثر انزال البضائع المعدية من طرف الأسرى، ازدادت حدة الوباء نتيجة ارتفاع درجة الحرارة، حيث أنتشر في كل الإيالة وبصورة أخص بايلك قسنطينة بين سنتي 1740 و1741م، لقد تسلط الوباء على مدينة مستغانم، وبدأ الوباء مع نهاية 1741م بزوال، لكن سرعان ما عاد في أفريل عام 1742م في مدينة قسنطينة والجزائر[4].

تواصلت الأوبئة ما بين 1744 و1749م، لكن لم تحدث خسائر بشرية معتبرة مما يدل على أن الوضع الصحي بالجزائر كان جيد.

تسلط وباء الطاعون على مدينة الجزائر سنة 1752م تسبب فيه الحجاج الذين جاؤوا إلى ميناء الجزائر عبر سفينة معدية، حيث انتشر في المغرب الأقصى ومدينة قسنطينة عام 1751م، ونتج في الأغلب عن الأوبئة المنتقلة برا وبحرا السائدة في تلك الفترة من خلال السفن المحملة بالحجاج، إلى جانب القوافل التجارية، زادت حدة وباء سنة 1752م في ماي 1753م، حيث انتشر في كل من القل وجيجل وحسب مارشيكا أن وباء الطاعون عام 1752 و1753م نتج عنهما وباء عام 1754 م، زادت حدته سنة 1755م، يعود سبب ذلك إلى المجاعة والزلزال الذي ضرب أسبانيا والبرتغال والتي هزت الجزائر شهرين كاملين، حيث تحطمت منازل مدينة الجزائر إلى جانب حريق عظيم أثر على معنويات الأهالي واقتصادهم[5]، لذا نرى أن الأوبئة كانت تتبع الكوارث الطبيعية التي ساهمت في ظهور الأوبئة وانتشارها.

---

(1) موساوي، المرجع السابق، ص. 72.

(2) سعيدوني، **الأحوال الصحية**...، المرجع السابق، ص. 561.

(3) Marchika, Op. cit., p. 79.

(4) موساوي، نفس المرجع السابق، ص ص. 73-74.

(5) نفسه، ص ص. 74-75.

هز مدينة الجزائر العديد من الزلازل حيث ترتب عنها مجاعات وقلة المياه، في حين كانت ضربات أوبئة الطاعون طوال السنوات 1756-1758م وعرفته كل من قسنطينة والجزائر والقل، أما ما بين سنوات 1759 و1761م شهدت خمود الوباء، لكن عاد من جديد إلى مدينة الجزائر سنة 1762م، بالإضافة إلى الزلزال الذي دمر قنوات مياه مدينة الجزائر حيث صاحبته مجاعة مروعة، يعود مصدر الطاعون عام 1762م إلى سفينة حجاج قادمة من ميناء الإسكندرية تحمل مطعونين، كما هو الحال بالنسبة لوباء 1756م الذي تسببت فيه سفينة إنجليزية قدمت من أزمير (Izmir) إلى الجزائر، استمر الطاعون ما بين عامي 1763م و1764م، إثر اجتياح مدينة الجزائر كل من مجاعة مروعة وأسرابا من الجراد[1].

أما المرحلة الممتدة ما بين 1764 و1778م تميزت بخمود أوبئة الطاعون خلال الأربعة عشر سنة، لكن عرفت الجزائر انتشار بعض المجاعات وتسلط الجراد عليها مثل عام 1767م، بالإضافة إلى الحروب العشائرية بين مختلف القبائل، مثل عام 1769م حيث دام نزاع سبعة سنوات بين معاقة وفليسة في حين كان له تأثير على الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية مع ازدياد وطأة المجاعات[2]، لذا تعتبر المجاعة من أخطر وأكبر الجوائح التي عرفتها بلاد المغرب.

عرف الريف القسنطيني خلال سنوات 1778-1779م، انتشار الجفاف والجراد ولقد نتج عنهما مجاعة كبيرة[3]، أما طوال سنوات 1778-1804م رجعت أوبئة الطاعون في الجزائر واستمرت بصفة تكرارية، ونتجت تلك الأوبئة عن اجتياح أسراب الجراد الجزائر، بالإضافة إلى المجاعة التي ضربت بلاد المغرب ونظرا لذلك اضطر السكان لأكل الجراد، وبصفة خاصة عانى بايليك وهران من هذه المجاعة، ما جعل محمد الكبير باي وهران يقبل على استيراد الحبوب حيث جعل سعرها في متناول الناس، كما وفر الطعام وسمح للفقراء تناول الطعام في مطبخ قصره، إلى جانب توزيع ملابس دافئة عليهم، وتميز شتاء 1780م بقساوة وبرودة حيث كان الشتاء جافا ما ساعد على اجتياح الجراد وانتشاره في كامل بلاد الجزائر، في حين تسبب في إتلاف المحاصيل الزراعية[4].

---

[1] موساوي، المرجع السابق، ص. 76.

[2] نفسه، ص ص. 77-78.

[3] موساوي-قشاعي، فلة.**النظام الضريبي بالريف القسنطيني أواخر العهد العثماني 1771-1837**، ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 1989-1990، ص. 27.

[4] موساوي، **الصحة والسكان...**، نفس المرجع السابق، ص ص. 78-79.

أما عام 1782م انتشر الوباء في الجزائر وأطلق عليه الوباء الكبير، يعود مصدر ذلك الوباء إلى رجل يدعى ابن سماية قدم من الترك[1]، حيث يشير مارشيكا أن سنة 1783م انتشر الطاعون في الدولة العثمانية، ولقد طال طرابلس الغرب، مصر، تونس، وسوريا، المغرب الأقصى، والجزائر، يعود ذلك لانتشاره شرق وجنوب البحر الأبيض المتوسط ويعتبر المشرق العثماني مصدرا لذلك الوباء، ويعود وجوده في الجزائر منذ سنتين[2].

هذا، وقد تعرضت قسنطينة وما جاورها ما بين 1785و1786م إلى انتشار المجاعة وصاحبتها مجموعة من الأوبئة[3]، ويعود سببها إلى تسرب العدوى من تونس التي كانت تحت تأثير الطاعون، بسبب سفينة تحمل حجاج أتوا من الإسكندرية، ومن تونس انتقلت العدوى إلى بايلك قسنطينة ثم القالة[4]، زادت حدتها في سبتمبر 1785م، حيث تسرب الوباء إلى سهل عنابة ولم ينحصر على قسنطينة والقالة، دامت حدته حتى 31 ديسمبر 1785م، وابتداءا من 26 مارس انخفضت الأوبئة، واستمرت في التسرب من الشواطئ الشرقية عبر سفينة تحمل الحجاج من الإسكندرية[5].

شهدت سنة 1786م انتشار الوباء في الشرق الجزائري وتونس، وظل هذا الوباء يجتاح الجزائر كل سنة وعرف باسم "حبوبة الأمجاد"[6]، ولعل من أهم الأوبئة التي ضربت مدينة الجزائر وما جاورها نذكر منها:

وباء 1784-1788م:

يعتبر من أخطر الأوبئة وأشرسها التي تعرضت لها الجزائر وبصفة أخص مدينة الجزائر، وكانت العدوى تتسرب عبر سفن الحجاج القادمة من الإسكندرية وأزمير[7]، في حين أرجع مارشيكا أن خلال هذه السنوات ساهمت البحرية الجزائرية في نقل العدوى، نظرا للاحتكاك مع مناطق عديدة

---

(1) الزهار، أحمد الشريف. **مذكرات أحمد شريف الزهار**، نقيب أشراف الجزائر 1754-1830، تح. أحمد توفيق المدني، ط. 2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980، ص. 78.

(2) Marchika, Op. cit., p. 106.

(3) موساوي، **النظام الضريبي...**، المرجع السابق، ص. 27.

(4) موساوي، **الصحة والسكان...**، المرجع السابق، ص. 80.

(5) Marchika, Ibid., p. 117.

(6) بن محمد الجيلالي، عبد الرحمان. **تاريخ الجزائر العام**، من 920هـ/ 1514م إلى 1216هـ/1830م، ج. 3، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2014، ص. 399.

(7) سعيدوني، **الحياة الريفية...**، المرجع السابق، ص. 328.

من العالم كان ينتشر فيها وباء الطاعون[1]، لم ينحصر وباء 1786م على مدينة الجزائر فقط بل مسى معسكر ووهران، بسبب المجاعة المنتشرة في بايلك الغرب منذ عام 1784م[2].

وباء 1786م لم يعرف خمودا بل استمر حتى عام 1788م[3]، و في شهر أكتوبر تم تسجيل 50 حالة مرض في ظرف ثلاثة أيام[4]، كما تعرضت الجزائر سنة 1787م إلى وباء مسى مختلف أرجاء البلاد[5]، شهد وباء 1788م خمود في شهر جانفي و فيفري خلال عام 1789م، ليعود من جديد في شهر مارس من سنة 1789م ضرب بصفة خاصة غرب الجزائر، بسبب سفينة إسبانية لم يطبق عليها الحجر الصحي، ما زاد الوضع تدهورا تعرض البلاد إلى زلزال من 8 إلى 9 أكتوبر 1790م الذي أصاب وهران، وتتبعه هزات متكررة دامت من 22 نوفمبر إلى 6 جانفي 1791م[6]، هذا واستمر الوباء في اجتياح الجزائر عام 1792م، كان سبب هذه الأوبئة السفن القادمة من أزمير والإسكندرية والقسطنطينية والحرمين الشريفين وبالإضافة إلى البضائع المعدية[7].

وباء 1793-1794م

انتشر وباء 1793و1794م بالأرياف بسبب لجوء الفارين من المدينة إليها[8]، ويرجع مارشيكا سبب انتقال عدوى الطاعون عام 1793م إلى الجائحة الحيوانية، حيث انتقلت العدوى من فئران الموجودة في سفن الميناء إلى الإنسان، ويعود ذلك إلى البسكريين الذين يقمون بحمل البضائع وانزالها من الموانئ، تسرب وباء الطاعون من شمال الايالة إلى جنوبها[9]، وتعرض بايلك قسنطينة في نفس السنة لوباء، اكتسح مدينة الجزائر في ربيع 1793م، وانتقلت العدوى إلى وهران وزادت حدتها بسبب الزلازل والمجاعات، حيث زال الوباء في سبتمبر 1794م[10].

---

(1) Marchika, Op. cit., p. 117.

(2) موساوي، **الصحة والسكان...**، المرجع السابق، ص. 84.

(3) نفسه، ص. 85.

(4) Venture de Paradis, **Alger qu XVIII^e siècle (1739-1799)**, éd. par Fagnan, Alger, 1898, p. 6.

(5) غطاس، **الوضع الصحي...**، المرجع السابق، ص. 125.

(6) سعيدوني، **الأحوال الصحية...**، المرجع السابق، ص. 563.

(7) موساوي، نفس المرجع السابق، ص. 86.

(8) سعيدوني، **الحياة الريفية...**، المرجع السابق، ص. 328.

(9) Marchika, Ibid., p. 141.

(10) Marchika, Op. cit., p. 144.

2-وقعها:

أضرت الأوبئة التي اجتاحت ايالة الجزائر بالسكان نتيجة ما أنجر عنها من خسائر بشرية، حيث قدر عدد الهالكين عن الأوبئة منتشرة عامي 1734 و1737م خسائر كبيرة، من بينها وفاة باي وهران، نتج عن وباء 1740م العديد من الضحايا تراوحت ما بين 200 و400 حالة وفاة، حيث قدر عدد الضحايا بمدينة قسنطينة ما بين35 و40 ضحية يوميا، ولقد أحدث وباء 1740م حوالي 70.000 حالة وفاة خلال سنتي 1740-1741م[1]، بالإضافة إلى 1000 ن في الشهر الأول في اليوم الواحد ما بين 300 و400 نسمة[2]، مع نهاية عام 1741م قدرت الخسائر البشرية ما بين 15 و20 حالة وفاة مع انتقال الطاعون إلى مدينة الجزائر 1744م حصد ما بين 8 إلى 10 أموات يوميا[3].

أما المرحلة الممتدة ما بين 1752 و1753م، فأثرت سلبا على معنويات السكان واقتصادهم، حيث تسبب وباء 1753م في هلاك 1700 ضحية[4]، مما زاد الوضع تأزما تمرد السكان ؛ ولقد انجرّ عن النزاع القبلي بين فليسة ومعاتقة تدهور الأوضاع الاقتصادية إلى جانب سوء حالة المعيشة بسبب كثرة المجاعات[5].

هذا وقد كان وقع وباء 1785م كبير حيث هلك نصف سكان عنابة وما جاورها[6] ؛ كما خلف وباء 1786م العديد من الضحايا يوميا نحو خمس مائة نسمة، حيث بلغ عدد الأموات بمدينة الجزائر 14334 ن، من بينهم 613 نصرانيا، و1774 يهوديا[7]، بالإضافة لم يجد ملاك الأراضي سنة 1786م من يقوم بحصاد حقولهم بسهل عنابة نتيجة الوباء الذي هلك أعددا هائلة من السكان، حيث اضطروا إلى التنازل على نصف محاصيل لمن يقوم بحصاد القمح، يرجع ذلك لتخوف الفلاحين من وطأة الوباء ذلك ما جعل عمال بايليك والملاك المقيمين بالمدن يستحوذون على أربعة أخماسه بدون مجهود يذكر، ما جعل الفلاح يقترض الأموال من صاحب الأرض وفي مقابل تراكم الديون على الفلاح، حيث خمدت همة الفلاح، وبالتالي تحول إلى تربية المواشي

---

(1) موساوي، **الصحة والسكان...**، المرجع السابق، ص ص. 73-74.

(2) سعيدوني، **الأحوال الصحية...**، المرجع السابق ص. 561.

(3) موساوي، نفس المرجع السابق، ص. 74.

(4) Marchika, Ibid., p. 97.

(5) موساوي، نفس المرجع السابق، ص ص. 77-78.

(6) نفسه، ص. 81.

(7) الجيلالي، المرجع السابق، ص. 265.

والانتقال وراء قطعان الماشية وبفعل الحاجة جعلته يمارس زراعة بسيطة في المناطق غير خصبة ما أدى إلى انكماش الأراضي الزراعية وبالإضافة إلى تقلص المساحات المزروعة، حتى أصبحت لا تتجاوز 359.040 هكتار عشية الاحتلال الفرنسي، أما بالنسبة لقطعان الماشية فقد بلغت ملايين رأس على أقل[1].

هذا، وقد ساعدت البيئة على انتشار وباء 1787و1788م، ما ولد أثار وخيمة على فلاح جعله يغادر الأرض الزراعية بفعل العوامل الطبيعية مثل اجتياح الجراد للمحاصيل الزراعية أو انتشار ظاهرة الجفاف، بالإضافة إلى القحط.

خلف زلزال 1790م دمار شمل مختلف المباني، والكنائس وصاحبه حريق مروع، استمرت الهزات حتى 1791م، انجر عنها 3000 ضحية ما اضطر بالباي محمد الكبير إلى توزيع الخيم والحبوب والزيوت، بالإضافة إلى انهيار المستشفى الوحيد بمدينة وهران[2].

كان الوباء يثير الخوف والرعب ما أدى إلى الفرار العديد من السكان متوجهين إلى البوادي أو جباله[3]. تعطلت كل الأشغال إثر وباء 1793م[4]، صادف ذلك زيارة الرحالة المغربي وفي هذا الصدد قال: "وكان عاما في العمائر التي بينها (تلمسان) وبين الجزائر فما نزلنا منزلا إلا وجدنا أهله يدفنون موتاهم..."[5]، إلى جانب تعطل الأنشطة الاقتصادية نظرا لهجرة السكان الأرياف نحو مدينة الجزائر بفعل موت مواشيهم بحثا عن العمل والقوت[6].

يتضح أن تأثير الأوبئة ما بين سنوات 1711و1794م، كان قوي وعنيف على مختلف شرائح المجتمع، بالإضافة إلى التأثير البليغ على الوضع الاقتصادي لسكان.

ثانيا: الأمراض الوبائية أسبابها ووقعها ما بين 1791 و1830م

---

(1) سعيدوني، **تاريخ الجزائر**...، المرجع السابق، ص. 170.

(2) موساوي، **الصحة والسكان** ...، المرجع السابق، ص ص. 85-86.

(3) نفسه، ص. 291.

(4) غطاس، **أوضاع الجزائر المعاشية**...، المرجع السابق، ص. 366.

(5) بالحميسي، مولاي. **الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص ص. 39-40.

(6) سعيداني، المرجع السابق، ص. 85.

المرحلة الممتدة ما بين 1796 و1804م عرفت ظهور أوبئة طاعونية في كل البلاد وهران، الجزائر، قسنطينة، عنابة، دلس، استمر الوباء حتى عام 1797م في مدينة الجزائر[1]، تواصلت الأوبئة عامي 1798-1799م في كل من مدينة الجزائر وتلمسان، في نفس السنة انتقلت العدوى إلى وهران ومعسكر وتلمسان، وبقي يضرب أرياف الجزائر عام 1802م، مصحوبة تلك الأوبئة بكارثة زلزال[2].

اجتاح الجراد الجزائر عام 1803م، مع انتشار القحط في كل مدن إيالة حتى اضطر بعض الناس إلى بيع أولادهم لكسب قوت العيش[3].

أما الفترة الممتدة ما بين 1804و1808م:

وقعت مجاعة شديدة وقحط عامي 1804 و1805م ألحقا أضرارا بأهل قسنطينة ودام الحال كذلك مدة ثلاث سنوات، إن سبب ذلك راجع إلى: "إن سبب القحط مركب من أمرين: أحدهما نزول الجائحة في السنة الأولى، وبقيت مستمرة في السنين بعدها، والثاني وهو أعظمها: ترادف الأفتان والأهوال التي لا تطمئن نفوس الناس للحراثة معها"[4]، لكن قبل سنة 1804م وقع هول بناحية واد الزهور وهي ثورة ابن الأحرش[5]، حيث مات عثمان باي سنة 1219هـ-1804م وخربت خزائنه وما احتوت عليها من يزاق (كذا)، لذا تعتبر حادثة واد الزهور أحد الأسباب التي نتجت عنها المجاعة بسبب موت الباي وانتشار الاضطرابات وسط الرعية، ولعل ذلك راجع إلى قلة الحبوب وعدم إخراجها إلى السوق لكثرة الهول والخوف، ما لبث الوضع أن تحسن سنة 1223هـ-1808م[6].

---

(1) موساوي، **الصحة والسكان...**، المرجع السابق، ص. 88.

(2) Marchika, Op. cit., p. 150

(3) موساوي، نفس المرجع السابق، ص. 89.

(4) العنتري، صالح. **مجاعات قسنطينة**، تح. رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1394هـ/1974م، ص ص. 27-39.

(5) هو محمد بن عبد الله الدرقاوي يدعى بابن الأحراش، ثار في قسنطينة عقب عودته من الحج سنة 1803م. أنظر: جعني، زينب."**ابن الأحراش في بايلك الشرق (1800-1807م)**" في: مجلة عصور الجديدة، ع. 18، أوت 1436هـ/2015م، ص. 130.

(6) العنتري، نفس المصدر السابق، ص ص. 33-34.

عرفت الفترة الممتدة خلال 1808-1815م خمود الأوبئة من الجزائر لكن بقيت تحت تأثير المجاعات، باستثناء سنة 1809م قدمت إلى الجزائر سفينة محملة بالبضائع آتية من إزمير تحمل حالتين مصابتين بالطاعون، لكن لم تنتشر العدوى، وبقيت الجزائر تتمتع بوضع صحي جيد[1].

اجتاح قسنطينة الجراد ما بين 1813 و1815م أدى إلى إتلاف المزروعات حيث ارتفعت الأسعار بنسبة عشرة أضعاف قبل ما كانت عليه[2].

1 . وباء سبع سنوات 1816-1823م

1-1. أسبابه:

يعتبر وباء سبع سنوات أخر وباء عرفته ايالة الجزائر، بقيت الجزائر خالية من الأوبئة إلى غاية عام 1816م، تسربت العدوى عن طريق المشرق عبر السفن التي تحمل الفرق العسكرية بالإضافة إلى بضائع معدية، ساعدت على انتشار الأوبئة مجاعة كبيرة نتيجة انتشار الجراد سنة 1815م[3]، ما زاد الوضع تدهورا تحطيم الأنجليز للأسطول الجزائري وقنبلة الجزائر[4]، وظهر بمدينة عنابة بسبب سفينة آتية من الإسكندرية، أما مدينة الجزائر انتشر فيها الداء نتيجة سفينة قدمها السلطان العثماني كهدية للجزائر[5].

عرفت الجزائر انتشار وباء سنة 1817م، وحسب مارشيكا أن مصدر العدوى سفينة سويدية قادمة من ميناء إزمير (Izmir) إلى الجزائر[6]، كما يرى أيضا أن الوباء تسرب عبر سفينتين قادمتين من القسطنطينية[7]، واصل الوباء الطاعون انتشاره في مارس 1818م بمدينة الجزائر، يتضح أن وباء 1818م عرف بشدته وحدته، إلى جانب تعرض مدينة الجزائر لزلزال في 26 ماي 1818م، استمر الطاعون في الجزائر سنة 1819م حيث تسلط على مدينة الجزائر ومعسكر، بالإضافة إلى انتقال العدوى إلى الثكنات، ثم انتقل الطاعون إلى تونس والمغرب الأقصى تسبب

---

(1) موساوي، **الصحة والسكان...**، المرجع السابق، ص ص. 89-90.

(2) موساوي، **النظام الضريبي...**، المرجع السابق، ص. 28.

(3) موساوي، **الصحة والسكان...**، نفس المرجع السابق، ص. 92.

(4) تابليت، علي. **الريس حميدو وأميرال البحرية الجزائرية 1770-1815م**، ثانة للنشر، الجزائر، 2006، ص. 29.

(5) غطاس، **الأوضاع المعاشية...**، المرجع السابق، ص. 366.

(6) Marchika. Op. cit., pp.152-153.

(7) Id., p. 153.

في موت نصف السكان وضرب الطاعون كذلك مدينة البليدة في ديسمبر بسبب الفارين الذين سربوا العدوى[1].

زال الطاعون من مدينة الجزائر ومختلف المدن والقرى عام 1820م، استمر ذلك التحسن ما بين شهري جانفي وماي 1821م، لكن الطاعون عاد إلى بجاية وأريافها وتسبب في أضرار كثيرة، إلى غاية 10 جوان 1821م، عاد الطاعون بسبب سفينة تحمل الحجاج المصابين بالطاعون آتية من الإسكندرية[2]، حيث ذكر الزهار أن في 1822م انقطعت الأوبئة من الجزائر التي تعتبر خاتمة للسنوات التي تعرضت فيها الجزائر للأوبئة[3]، وبالتالي يعتبر وباء 1816-1822م من أكبر الكوارث التي عرفتها بلاد المغرب، وبصورة أخص الجزائر في ظل الحكم العثماني.

1-.2 وقعه:

فتك وباء سبع سنوات بسكان، حيث أفرغ الأرياف من سكانها إلى جانب إهمال الأراضي الفلاحية بفعل تناقص اليد العاملة، وصلت نسبة الأموات في شهري أوت وسبتمبر من سنة 1818م إلى 6.095 ن[4]، إن ظهور الوباء أدى إلى هجرة عدد كبير من السكان نحو المناطق الداخلية حيث أصبحت المدينة شبه خالية، مع تعطل الأنشطة التجارية،[5] وكان من ضحايا وباء الطاعون سنة 1818م علي خوجة[6].

انتقل هذا الوباء إلى مدينة عنابة حيث تسبب في القضاء على ثلثي منازل، كما غادر سكان جيجل المدينة نتيجة زيادة حدة الأوبئة[7]، أما وباء 1819م فكان يموت ما بين 20 و30 فردا يوميا، حيث وصلت الوفيات نهاية جوان إلى ثمانين حالة وفاة[8]، إلى جانب وباء 1821م قدر عدد الضحايا بـ 635 حالة وفاة إلى غاية زوال الوباء سنة 1822م[9].

---

(1) Marchika. Op. cit., pp.168.

(2) موساوي، **الصحة والسكان...**، المرجع السابق، ص ص. 103-104.

(3) الزهار، المصدر السابق، ص. 151.

(4) سعيدوني، **الحياة الريفية...**، المرجع السابق، ص. 329.

(5) غطاس، **الأوضاع المعاشية...**، المرجع السابق، ص. 367.

(6) ب. وولف، جون. **الجزائر وأوروبا 1500-1830م**، ترجمة وتعليق. ابو القاسم سعد الله، طبعة خاصة، دار الرائد، الجزائر، 2009، ص. 447.

(7) غطاس، **الوضع الصحي...**، المرجع السابق، ص. 126.

(8) Marchika, Op. Cit., p. 168.

(9) Id., p. 177.

خمود الأوبئة ما بين 1823و1830م

عرفت الجزائر خلال الفترة الممتدة بين سنوات 1823-1830م بيئة خالية من الأوبئة، ويرجع ذلك إلى تطبيق السكان لقواعد الوقاية من الأوبئة، حيث شهدت الجزائر خلال السنوات التالية 1823-1830م خمود الأوبئة وتميزها بوضع صحي جيد ؛ ذلك ما تبينه المراسلات القنصلية عن تحسن الأحوال الصحية وفي ظل المناخ الصحي الذي تمتعت به الجزائر، كان الطاعون يتسلط على مصر، ونتيجة الحصار الإنجليزي رفض استقبال أي سفينة قادمة من الإسكندرية، ونظرا لعدم قبول أية سفينة معدية ومشكوك في أمرها، تمتعت حواضر وأرياف الإيالة بوضع صحي جيد، في وقت ما زال الطاعون يتسلط على دول المشرق[1].

أهم الأحداث التي أضرت بالسكان في هذه الفترة، زلزال مدينة البليدة سنة 1825م، متسبب في خسائر معتبرة أثر على النسج الاجتماعي، في ظل الفترة الخالية من الأوبئة والطاعون، ويعتبر آخر زلزال عرفته الجزائر في ظل الحكم العثماني[2]، وبالإضافة إلى سنة 1826م التي عرفت الجزائر قحط عظيم تسبب في غلاء وارتفاع الأسعار[3].

هذا، وقد اختفى الوباء نهائيا من الجزائر والأقطار المغاربية منذ عام 1822م، ويرجع ذلك إلى الأسباب التالية:

- نقص الوافدين من الولايات العثمانية المشرقية، إذ تراجعت في السنوات الأخيرة من الحكم العثماني بالجزائر عملية التجنيد، وبالتالي تراجع عدد المجندين خاصة من المشرق ويعتبر ما قام به السلطان محمود الثاني بالقضاء سنة 1242هـ/1826م على الفرق الإنكشارية ساعد على تخفيف من وطأة الوباء.
- يعتبر الحصار الفرنسي، الذي فرضه الأسطول الفرنسي على السواحل الجزائر من بين الأسباب لتخفيف من حدة الأوبئة، حيث منع الحجاج، التجار والطلبة وبالإضافة إلى الجنود من الخروج من الجزائر أو الدخول إليها، إلى جانب قطع العلاقات التجارية والسياسية مع الدول العربية والأجنبية، كون الوباء ينتقل من الموانئ المشرقية والمصرية، قطع الاتصالات مع الحوض البحر الأبيض

---

[1] موساوي، **الصحة والسكان...**، المرجع السابق، ص ص. 107-108.

[2] نفسه، ص ص. 109-110.

[3] بن عبد القادر، مسلم. **أنيس الغريب والمسافر**، تح وتق. رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974، ص. 31.

المتوسط في ظل الحصار الفرنسي على الجزائر إلى جانب التدابير والإجراءات الصحية التي وضعتها وأدخلتها فرنسا سنة 1830م[1]

رابعا: طرق الوقاية والعلاج خلال عهد الدايات (1671-1830م)

1-السياسة الوقائية لسلطة الحاكمة: في ظل الحديث عن السياسة الوقائية لسلطة، هل تم تطبيق نظام الحجر الصحي باعتباره وسيلة وقائية لتفادي وباء الطاعون؟

في الواقع، لم تتخذ السلطة إجراءات كثيرة، حيث تسلل الوباء إلى داخل لقصر[2]، ويذكر ابن حمادوش في رحلته أن نظام الحجر الصحي كان مطبقا في الجزائر من خلال منع أحد الدايات إنزال الحجاج من سفينة آتية من الإسكندرية[3] ؛ أما حمدان خوجة، فإنه يرى أن نظام الحجر الصحي لم يكن معمولا به في الجزائر على غرار أوروبا[4]. هذا وقد حرص قناصل الدول الأجنبية على تحذير رعاياهم من تجنب السواحل الجزائرية التي لا تطبق نظام الكرنتينة ذلك ما جاء في رسالة اسبانية سنة 1786م "...أن هناك وباء الطاعون وننصح بأن يتجنب التجار والبحارة الإسبان الذهاب إلى الجزائر..."[5]، بالإضافة إلى تهاون الحكام في اتخاذ الإجراءات إزاء وباء الطاعون بل اعتبروا الأوبئة غضبا إلهيا، حيث لم يفرض أي حاكم نظام الكرنتينة[6]، ففي سنة 1787م قام صالح باي (1771-1792م) بتطبيق نظام الحجر الصحي حول مدينة عنابة وما جاورها لتفادي انتقال العدوى إلى قسنطينة، إلى جانب محاولة عصمان باي وهران سنة 1794م، لكن لم تحقق النتائج المطلوبة[7].

وقفت السلطة الحاكمة عاجزة على تطبيق الحجر الصحي، بسبب اختلاف بين رجال الدين حول كيفية التعامل مع المصابين، حيث دعى البعض إلى التوكل على الله وعدم الاحتراز معتمدين على قوله تعالى: ﴿**قُلْ لَنْ يُصيبَنَا إلَا مَا كَتَبَ اللهُ لَنَا...**﴾[8] ؛ ومنهم من يدعو إلى

---

(1) شويتام، **المجتمع...**، المرجع السابق، ص ص. 290-293.

(2) نفسه، ص. 291.

(3) بن حمادوش الجزائري، عبد الرزاق. **رحلة ابن حمادوش "لسان المقال في النبا عن النسب والحسب والحال"**، تح. أبو القاسم سعد الله، عاصمة الثقافة العربية، الجزائر، 2007، ص. 122.

(4) خوجة، **اتحاف المنصفين...**، المصدر السابق، ص ص. 44-45.

(5) بليل، رحمون. **القناصل والقنصليات الأجنبية بالجزائر العثمانية من 1564إلى 1830م**، دكتوراه في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، جامعة وهران، 2010-2011، ص. 157.

(6) سعيدوني، بوعبدلي، **الجزائر في التاريخ...**، المرجع السابق، ص. 88.

(7) سعيدوني، **الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية...**، المرجع السابق، ص. 48.

(8) سورة التوبة، الآية 51.

الاحتراز والعلاج حيث قال تعالى: ﴿**وَلَا تُلْقُو بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَة...**﴾[1]، أما رد فعل الحكام تجاه وباء الطاعون فتمثل في الهروب وعدم المبالاة من الأوبئة، مثل ما حدث مع الباشا محمد تكلرلي الذي هرب من مدينة الجزائر واتجه نحو منطقة رأس الخشين (Cap Caxines) ؛ وإثر وباء 1794م، فر عثمان باي وهران نحو سهل ملاتة[2]، إن القول الآتي يؤكد عدم التزام الحكام بتطبيق نظام الحجر الصحي إثر قدوم سفينة إلى ميناء الجزائر، حيث قام نائب القنصل بفرض نظام الكرنتينة على السفينة، لذا طلب من داي إبراهيم الحذر من انتشار العدوى، لكن الداي أجابه بما يلي: "إن خوفك من انتقال العدوى يفسر بكونك مسيحيا، وبهذه الصفة تظن أن بإمكانك الإفلات والهروب من قدر وإرادة الله، إذهب أنا تركي ولا أخشى الطاعون"[3]. لقد أظهر الداي ابراهيم تقاعسا إتجاه الوباء، وفي مجلس الديوان توفي أحد الموظفين حيث واصل الجلسة دون مبالاة بما وقع، كما وقع علي شاوش ضحية لحمى في جانفي 1718م.

وفي سنة 1786م، قام داي محمد بالسماح لسفينة تحمل مطعونين بالرسو في ميناء الجزائر وانتشرت العدوى، بالإضافة إلى تهديد المسؤولين السكان بعدم التحدث عن الأوبئة إثر وباء 1817م، وفي حالة حدث ذلك يتم معاقبتهم بالجلد[4].

لجأ الحكام إلى الأطباء الأجانب حيث أثار وباء 1818م تخوف الداي علي خوجة، وجاء بالطبيب الإسباني خوان فرناندز دي لاس هراس (Dr. Juan Fernandez de Las Heras) إن موقف حكام إيالة الجزائر بصفة عامة لم يكن كله سلبيا، حيث عرف عن بعض المسؤولين المبادرة إلى تحسين الوضع الصحي للسكان وذلك من خلال تأسيس بعض الملاجئ، بالإضافة إلى تطبيق نظام الحجر الصحي، حيث كانت توجد بعض المصحات والملاجئ للعلاج منها مأوى بوطويل، الموجود خارج باب الواد، مثل ملجأ للفقراء، بالإضافة إلى ملجأ سيدي والي دادا بشارع الديوان الذي كان ملجأ للمرضى، فكانت الزوايا تهتم بالصحة العمومية، حيث كانت تتكفل بمصاريف المرضى اعتمادا على مداخيل الوقف، مثل زاوية سيدي عبد الرحمان، حيث نرى أن المؤسسات مثل المستشفيات لم تكون موجودة في الجزائر، عكس تونس التي أسست أول مارستان سنة 1662م[5].

---

[1] سورة البقرة، الآية 195.

[2] Marchika, Op. Cit., p. 145.

[3] Id., p. 145.

[4] موساوي، **الصحة والسكان...**، المرجع السابق، ص ص. 237-239.

[5] نفسه، ص ص. 240-246.

الحجر الصحي وعلاقته بالدين الاسلامي:

تطبيق نظام الحجر الصحي يطرح علينا السؤال التالي هل يتنافى نظام الكرنتينة مع الدين الاسلامي؟ هل يستطيع المريض المسلم العلاج لدى طبيب أجنبي غير مسلم؟ هل نظام الحجر الصحي شرعي أو يتنافى مع الشريعة الاسلامية؟

أغلب المسلمين لا يطبقون الحجر الصحي وفي نظرهم أن لا جدوى من اتخاذ الإجراءات الوقائية لعلاج الأوبئة والأمراض، حيث كانوا يعتقدون أن نظام الحجر الصحي مخالف لدين الاسلامي، خاصة إذا كان العلاج من طرف الأجانب، لكن ديننا أوصى بالمعالجة سواء طبيب مسلم أو أجنبي أو الوقاية من خلال تطبيق الحجر الصحي، ما دام القصد هو العلاج وبالتالي إباحة الطبيب الأجنبي، وتصبح الكرنتينة أمرا مباح مسموح به في الدين الاسلامي، لذا الوقاية من العدوى أمر طبقته كل شعوب من بينها العرب[1]. حيث نرى أن نظام الحجر الصحي كان مطبق منذ القديم وهو من أهم الأساليب والإجراءات الوقائية، لكن بصورة عامة لم يكن مطبق في الجزائر، إلا في بعض الفترات ويرجع ذلك إلى ذهنيات الحكام.

مساهمة الأهالي في الوقاية من الأمراض الوبائية:

يعتبر الطب الحديث في المجتمع الجزائري شبه منعدم، حيث لاحظ شاو (Shaw) أن إيالة الجزائر تفتقر إلى الأطباء، ويعود ذلك إلى قلة الأمراض الخبيثة، لذا كان يتردد كبار المسؤولين في الجزائر إلى الاستعانة بأطباء أجانب، وكان أغلبهم أسرى في إيالة الجزائر[2]، حيث عمل سيمون بفايفر كطبيب في الجزائر بعد تمكنه من علاج أحد وزراء الداي ويعتبر الطبيب الوحيد الذي يعالج المرضى، لذا منحه الداي صيدلية صغيرة[3]، ما أكده أغلب الأطباء الأجانب بأن الجزائر بكل نواحيها لا يوجد فيها طبيبا وأنهم يعتمدون الطبيعة كطبيب لهم، وإن وجد فهو طبيب وصيدلي في نفس الوقت ويصفوا الطب الجزائري بالجهل والكسل [4]، لكن ذلك لا يعني أن الجزائر كانت بيئة خالية من الطب والأطباء فنجد على سبيل المثال ابن حمادوش فقد كان طبيبا

---

(1) موساوي، **الصحة والسكان...**، المرجع السابق، ص ص. 248-250.

(2) Dr. SHAW, **Voyage dans la Régence d'Alger**. Traduit de l'Anglais par J. Mac Cartny, éd. Bou Slama, Tunis, 1980, p. 85.

(3) بفايفر، سيمون. **مذكرات جزائرية عشية الاحتلال**، تر، تح، تع. أبو العيد دودو، دار هومة، الجزائر، 2009، ص. 34.

(4) دودو، أبو العيد. **الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان، (1830-1855م)**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975، ص. 14.

وصيدليا[1]، لكن نظرة السكان اتجاه الأمراض والأوبئة تميزت باستسلام وقبول القدر، حيث فسروا كل الجوائح التي تسلطت عليهم بإرادة الله، مهما كانت سواء أوبئة أو حريق أو مجاعة أو فيضانات، ما جعلهم يرددون أبيات شعرية بالدارجة:

"الحبوبة جات في البلاد.

وصل الطاعون للبلاد، يا ربي أحفظ قبيلتي.

وصل الطاعون لقبيلتي، يا ربي أحفظ دواري.

وصل الطاعون لدواري، يا ربي أحفظ خيمتي.

وصل الطاعون لخيمتي، يا ربي أحفظ لي رأسي[2].

لذا، لجأ الأهالي إلى التداوي بالأعشاب، لعلاج الإسهال والأوبئة والحمى فكانوا يستعينون بالتمائم، وكان يستعمل لعلاج الحمى[3].

أقراص من الكين أو الكينة[4]، حين ذكر ابن حمادوش وهو بالمغرب الأقصى حيث قال: " أصابتني حمى شديدة، فلم أستطع القراءة حتى ألهمني الله أن أشتري ثلاثة أثمان من الكين كنينة، فاشتريتها ستة موزونات دققت الثمن الأول، وشربته في فنجاي قهوة من البن"[5]، بالإضافة إلى استعمال البخور والجاوي، وزيارة الأولياء والزوايا[6]، كذلك النوم وجرح الجلد والصوم ومص الدم (المغيثة)[7]، ومن بين الطرق لعلاج الحمى على سبيل المثال عندما يصاب الجدافون المسيحيون بالحمى على متن السفن الجزائرية، فكان يمنح لهم الخبز المجفف، والماء العذب، بالإضافة إلى اللحم المالح مما يساعدهم على إخراج العرق، وكان اليهود يغسلون موتاهم بالمياه الباردة ومن بعدها المياه الساخنة المختلطة بالأعشاب العطرة، وكانوا يعتقدون أن البكاء على الميت يطيل

---

(1) بن حمادوش، المصدر السابق، ص. 10.

(2) موساوي، **الصحة والسكان...**، المرجع السابق، ص. 289.

(3) شويتام، **المجتمع...**، المرجع السابق، ص. 281.

(4) الكين كنية، Quinine، عبارة عن دواء يستخرج من أشجار الكين كينة منتشرة في المناطق الاستوائية، قام باكتشافها الأوروبيون في القارة الأمريكية في القرن السادس عشر. أنظر: بن حمادوش، المصدر السابق، ص. 86.

(5) نفسه.

(6) شويتام، نفس المرجع السابق، ص. 284.

(7) سعيداني، المرجع السابق، ص. 85.

عمر الطاعون، بينماالأسرى المسيحيون تكفلت بهم المستشفيات التي أنشأتها لهم دولهم في إيالة الجزائر[1].

هذا، وقد استعملوا وسائل الكي والحجامة، وأوجدوا بعض الأعشاب لعلاج الأمراض على سبيل المثال لعلاج الجدري يعطي للمريض حبات من الكرميس في العسل ويوضع في مكان دافئ، وتستخدم بعض النباتات لعلاج التورم والالتهابات[2]، بالإضافة إلى المشعوذين وكتاب الحروز[3]، الذين كان لهم تأثير على عقول الناس، نرى أن السكان قد استعملوا أبسط طرق لمواجهة الطاعون، حيث الطب الذي كان منتشر في الجزائر هو الطب الشعبي، الذي اعتمد فيه على الأعشاب لعلاج الأمراض والأوبئة.

---

[1] شويتام، **المجتمع** ...، المرجع السابق، ص. 293.

[2] سعد الله، المرجع السابق، ص ص. 417-418.

[3] شارل، المصدر السابق، ص. 81.

الفصل الثالث

انعكاسات الظاهرة الوبائية في الجزائر خلال عهد الدايات

أولا: الانعكاسات الاجتماعية والسياسية.

1. اجتماعيا.

كان الوضع الديمغرافي انعكاسا للحالة الصحية والمعيشية في الجزائر، الذي اتصف بعدم الاستقرار من حيث عدد السكان نظرا للأوضاع الصحية والطبيعية[1].

تنوعت الإحصاءات المتعلقة بتقدير عدد السكان في إيالة الجزائر، فإن المجتمع المدينة تعرض أواخر العهد العثماني إلى مجموعة من الكوارث الطبيعية، أدت بدورها إلى تراجع النمو الديمغرافي في المدن والأرياف، ومنه كان للظاهرة الوبائية في الجزائر تأثير حاسم على السكان[2].

إن الإجراءات الإحصائية ماتزال مفقودة، ما عدا بعض الإشارات من طرف مصادر متعلقة بتلك الفترة من خلال المسافرين والرحالة، لكن في بعض الأحيان كان بيت المالجي المسؤول عن صيانة أملاك المتوفين والغيب؛ حيث كان يقوم بتعداد السكان من خلال تركات المتوفين، هذا وبداية من القرن السادس عشر عرفت الجزائر نمو سكاني سريع إلى غاية القرن السابع عشر من خلال توافد موجات بشرية إلى البلاد من الأندلس في السنوات1492-1566، 1609م مما أدى إلى نمو ديمغرافي سريع أثناء القرن السابع عشر.

وابتداءا من القرن الثامن عشر، تضاءل عدد سكان المدن الجزائرية، بفعل تراجع النمو الديمغرافي بفضل انتشار الأوبئة والأمراض بالإضافة إلى تسلط الكوارث الطبيعية على إيالة الجزائر [3].

هذا، وقد تسببت الأوبئة المنتشرة ما بين 1673و1702م في خسائر بشرية هامة، وإن لم يعثر على أرقام تمثلها [4]، حيث أن سوء الوضع الصحي دائما يترتب عنه ارتفاع عدد الوفيات وتناقص سريع للسكان [5].

---

[1] سعيدوني، **الأحوال الصحية...**، المرجع السابق، ص.566.

[2] الزين، المرجع السابق، ص.133.

[3] موساوي، **الصحة والسكان...**، المرجع السابق، ص ص.314-316.

[4] MARHIKA.OP.CIT.P.67.

[5] عودة محمد عبد الله وياسين الخطيب إبراهيم. **تاريخ العرب الحديث**، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، 1989، ص.38.

وقدرت نسبة الضحايا في وباء عام 1740م ما بين 200 و400 وفاة يوميا، حيث وصل عدد الأموات عام 1753م إلى 1700 ضحية[1]، زادت حدته في جيجل والقل لكن أكبر قدر ممكن من الأموات كان في قسنطينة، لم تكن الأوبئة هي الوحيدة التي كان لها تأثير على الوضع الديمغرافي بل ساهمت الكوارث الطبيعية في تدمير النسيج الاجتماعي، التي تحكمت في انتشار الأوبئة، ففي سنة 1762م عاد وباء الطاعون مع زلزال قوي قام بتدمير مياه مدينة الجزائر مصحوبا بمجاعة عنيفة[2]، تسببت الأمراض المنتشرة في عهد الدايات[3] في تناقص عدد السكان بشكل مريع[4]، ومن بين العبارات الدالة على ما خلفته الأوبئة نذكر:

"نتج عن الوباء موت كثير حتى خلت المدن والقرى

قحط عظيم ووباء مفرط

وباء مات فيه خلق كبير

مجاعة قحطت الجزائر قحطا عظيما

وكان الوباء وقد اشتعلت ناره.....وقت الضحى وصل ماية جنازة

وباء هلك فيه من الناس ما لا يحصى

وقع الموت في الناس حتى عجزوا عن دفن أمواتهم

جعل مساجد ومنازل المدينة خالية

أخلت الدور وعمرت القبور

الطواعين المتتالية هي استفاقة للطاعون الأعظم وهي أقل فتاك منه...."

الوباء جعل الناس يأكلون بعضهم بعضا"

---

(1) Marchika, Op. cit., p. .73.

(2) موساوي، **الصحة والسكان...**، المرجع السابق، ص ص. 47-77.

(3) بعد اغتيال علي آغا 1665-1671م ولقد كان أخر آغا عثماني يحكم الجزائر، وبنهاية عهد الآغوت، عرفت الجزائر نظام جديد تمثل في عهد الدايات 1671-1830م. انظر: صغيري، سفيان. **العلاقات الجزائرية العثمانية خلال عهد الدايات في الجزائر 1671-1830م**، ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة باتنة، 1432-1433هـ/2011-2012م، ص. 39.

(4) درياس، المرجع السابق، ص. 19.

عدد الموتى يزداد من يوم لآخر"

"أثناء الطاعون الجارف خلت الديار والمنازل"

كان يدفن في الحفرة الواحدة مائة من الناس"[1].

تسبب وباء 1778م في هلاك 16.721 ن، وفتك وباء 1785م نصف سكان مدينة عنابة، حيث يعتبر وباء 1784-1788م من أشرس الأوبئة، فتراجع عدد سكان مدينة الجزائر فقط إلى 5.000ن[2]، وصل عدد الضحايا أحيانا إلى 500 جنازة إثر وباء 1786م، فكان يموت ما بين 29 و30 فردا يوميا، حيث استمر الوباء في شهر أوت 1787م أودى بحياة خمس السكان، إشتدت وطأة الوباء في معسكر ووهران، ووصل عدد الموتى إلى 3.882 ضحية، من بينها 490 يهوديا، 3.162 مسلما و170 مسيحيا[3]، وفي نفس السنة عرفه بايلك الغرب[4]. وفي ظل تلك الظروف الصعبة، ارتحل العديد من السكان نحو المغرب الأقصى[5].

لأخذ فكرة عن تأثير الأوبئة ديمغرافيا الجدول التالي يبين معدل الوفيات – مقارنة بالمعدل الطبيعي خلال السنوات الخالية من الأوبئة – خلال سنتي 1787-1788م[6].

الأشهر	المعدل
جانفي	**3.75**
فيفري	**1.125**

(1) L. Lamarque, **Recherches historiques sur médecine dans la régence d'Alger,** impimerie baconnier, Alger ,1951, p. 101.

نقلا عن : موساوي، **الصحة والسكان...**، المرجع السابق، ص. 14.

(2) سعيدوني، **الحياة الريفية...**، المرجع السابق، ص. 328.

(3) موساوي، نفس المرجع السابق، ص. 321.

(4) لواليش، فتيحة.**الحياة الحضرية في بايلك الغرب الجزائري خلال القرن الثامن عشر**، ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 1993-1994، ص. 58.

(5) بلغيث، عبد القادر. **الحياة السياسية والاجتماعية لمدينة وهران خلال العهد العثماني**، ماجستير في تاريخ وحضارة إسلامية، جامعة وهران، 2013-2014، ص. 100.

(6) Shuval (tal), **la ville d'Alger ver la fin du XVIII^{e} s : population et cadre urbain**. C.N.R.S. éd., Paris, 1998., p. 48.

مارس	1.875
أفريل	1.25
ماي	2.375
جوان	0.625
جويلية	1.5
أوت	1
سبتمبر	2.375
أكتوبر	3.5
نوفمبر	4.375
ديسمبر	1.75

نلاحظ من خلال الأرقام الواردة في الجدول أن معدل الوفيات كان مرتفعا في شهر جانفي، ما لبث أن انخفض ما بين فيفري وأفريل، ليرتفع من جديد في شهر ماي، لكنه انخفض بنسبة كبيرة خلال شهر جوان ليعود ليرتفع قليلا في قلب الصيف، ويستمر في الإرتفاع ما بين سبتمبر وأكتوبر، بينما سجل شهر أكتوبر أكبر نسبة وفيات، لينخفض معدل الوفاة في شهر ديسمبر إلى 1.75، مما يسمح لنا بالقول أن تأثير الأوبئة كان أشد في الخريف وجزئيا في الربيع ومنخفض في الصيف والشتاء.

أما بالنسبة للأجانب فقد طالهم الوباء المنتشر خلال السنوات التالية 1787، 1788، 1793م، من بين مجموع الأسرى الذين أسروا في 1785م من طرف الجزائر، توفي تسعة إثر وباء الطاعون، وسنحاول ذكر بعضهم، توفي جون دوران في وباء الطاعون في 1 جويلية 1787م، ومات القبطان زخوس كوفين بالسل في 2 جويلية 1787م، وادوار أوايلي مات في وباء الطاعون في 6 جويلية 1788م، بالإضافة إلى جاكوبوس تاسز مات في وباء الطاعون في 13 جويلية 1793م[1].

[1] كاثكارت، المصدر السابق، ص. 290.

لقد قدر عدد ضحايا وباء 1793م حوالي 12.000 من موتى وتعتبر كارثة حقيقية أما وباء 1798م وصل عدد الضحايا فيه حوالي 300 ضحية، وكان وباء الطاعون يقتل 120 فردا يوميا، بمنطقة الجنوب، لكن مارشيكا يرى أن العدد لا ينسجم مع الكثافة السكانية لناحية الزيبان، فهو يتصور أن العدد أقل من ذلك[1]، إن الدائرة النسبية الموالية تبين البنية الديمغرافية لمجتمع مدينة الجزائر من خلال التركات إثر الأوبئة المنتشرة ما بين سنوات 1799 و1803م[2].

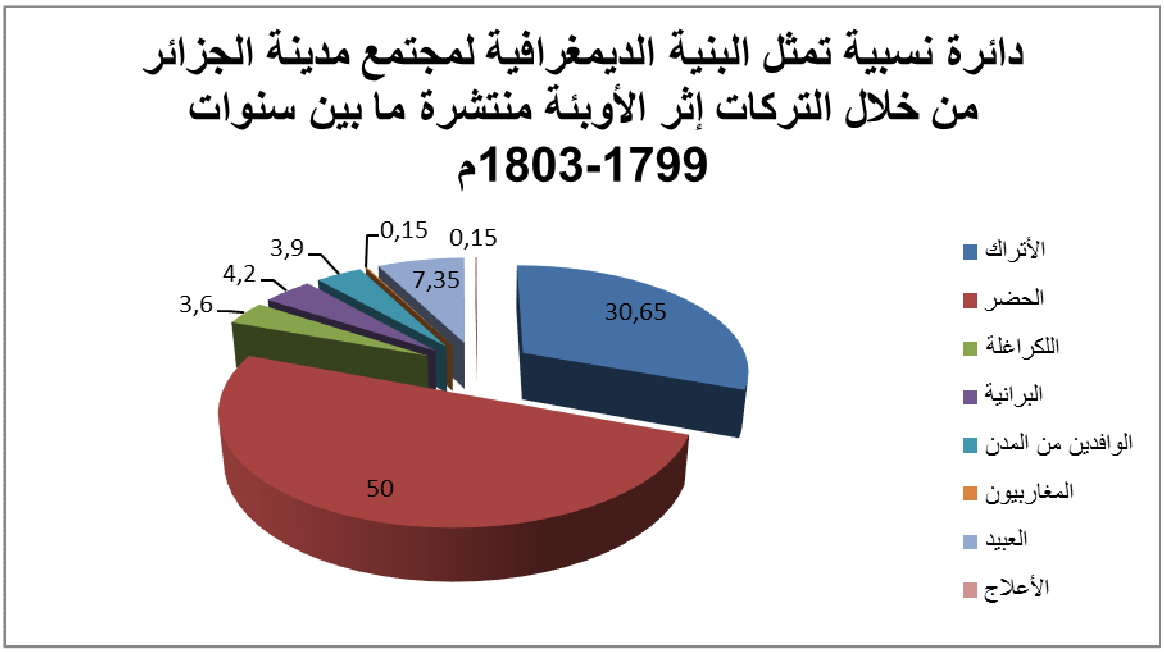

أما وباء 1817م فأحدث أكثر من 100 حالة وفاة يوميا في وقت الذروة ما لبث أن انخفض إلى 40 حالة، بداية شهر جويلية كان قد خلف الوباء 2048 ضحية وبلغت ذروته 150 ضحية في اليوم الواحد، بينما انخفض إلى 1250 ضحية في شهر سبتمبر و870 ضحية في شهر نوفمبر ما مجموعه 6095 ضحية[3]، حيث يبين الجدول التالي عدد الوفيات سنة 1817م[4].

---

(1) Marchika, Op. cit., p. 141.

(2) غطاس، عائشة. "**من أجل إعادة النظر في البنية الديمغرافية لمجتمع مدينة الجزائر. معطيات مستقاة من الوثائق المحلية**"، في: مجلة إنسانيات، ع. 19-20، 2003، ص ص. 2-3.

(3) خلاصي، علي. **قصبة مدينة الجزئر**، ج.1، ط.1، دار الحضارة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص. 36.

(4) سعيدوني، **الحياة الريفية...**، المرجع السابق، ص. 445.

السنة	الفصل	الشهر	أدنى تقدير	أعلى تقدير
1817	الصيف	جوان	3	3
		جويلية	181	491
		أوت	1.908	2.018

نلاحظ من خلال الأرقام الواردة في الجدول أن عدد الوفيات خلال شهر جوان كانت منخفضة، أما بالنسبة لشهر جويلية فقد مثل أكبر نسبة وفيات، ليعرف شهر أوت انخفاضا من جديد في نسبة الوفيات.

حصد طاعون 1818م أعداد هائلة وكان يقتل يوميا 40 فردا بمدينة الجزائر أي مجموع 1.438 موتى، وصل عدد الموتى مع نهاية أفريل إلى 1.556، ثم بمدينة الجزائر مات 200 فرد، وفي نفس السنة وصل عدد الضحايا بوهران إلى 7.000 من موتى بتاريخ 20ماي قتل الوباء ما بين 30 و40 فردا، ومع نهاية جوان 1818م وصل عدد الضحايا إلى 80 قتيلا يوميا، حيث اشتدت وطأة وباء 1818م، محدثا خسائر معتبرة في النسيج الاجتماعي مسى مختلف الأجناس من رجال ونساء وأطفال...إلخ[1].

وحسب دكتورسعيدوني خلف وباء 1817-1818م أكثر من 14.000 ضحية، كما أدى إلى هلاك ثلثي سكان مدينة عنابة، حيث لم يعد يتجاوز سكانها 5000 ن، بالإضافة إلى تضرر الجهات الجبلية والصحراوية[2].

ترتب عن الوباء عام 1819م خسائر بشرية هامة في مدينة قسنطينة حيث وصل عدد الضحايا إلى 2927 من الموتى ؛ ولإعطاء فكرة عن عدد الوفيات ما بين السنوات التالية 1817-1822م نعتمد على الأعمدة البيانية التالية[3]:

---

[1] موساوي، **الصحة والسكان**...، المرجع السابق، ص ص. 323-324.

[2] سعيدوني، **الأحوال الصحية**...، المرجع السابق، ص. 563.

[3] غطاس، **أوضاع الجزائر المعاشية**...، المرجع السابق، ص. 367.

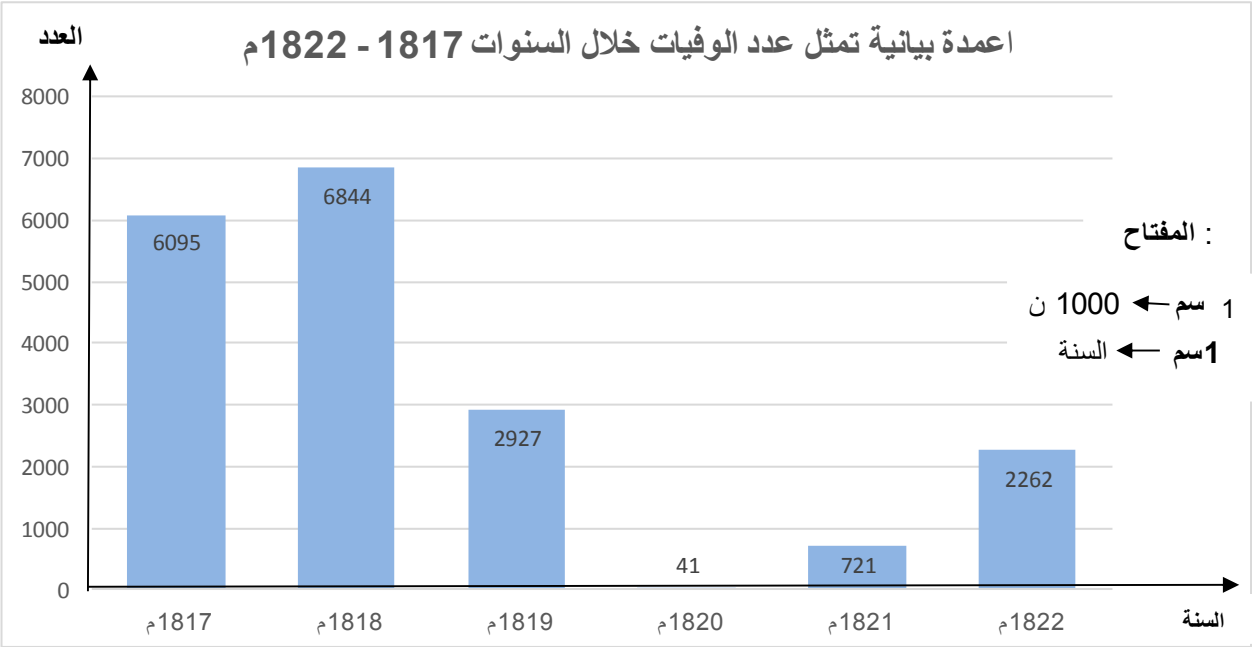

ما يمكن ملاحظته من خلال الأرقام الواردة في الأعمدة البيانية أن نسبة الوفيات كانت مرتفعة ما بين السنوات 1817 و1819م ؛ أما بالنسبة لسنة 1820م، فعرفت الوفيات انخفاضا لترتفع من جديد ما بين سنتي 1821و1822م، ويرجع ذلك لحدة الوباء المذكور، الذي يعتبر خاتمة الأوبئة في الجزائر العثمانية.

لقد أثرت الأوبئة على معنويات السكان، التي ولدت الرعب والخوف في نفوس الأهالي، ما جعل الحياة مستحيلة في مدن وقرى الجزائر فدفع سكان المدن إلى الهجرة[1].

أدت الأمراض والأوبئة إلى إحداث خسائر بشرية ومادية، حيث خلفت هذه الأخيرة العديد من الضحايا لكن الإحصاءات المتعلقة بعدد الوفيات تبقى نسبية وتقريبية لغياب الوثائق الأرشيفية التي تحصي لنا الأعداد الحقيقية لسكان، كما انخفضت نسبة المحاصيل الزراعية والثروة الحيوانية مما أثر على الحياة الاقتصادية للبلاد.

2. سياسيا

[1] دخية، فاطمة. **الحركة الأدبية في الجزائر خلال العهد العثماني، دكتوراه في الأدب واللغة العربية**، جامعة محمد خيضر بسكرة، 1435-1436هـ/2014-2015م، ص. 19.

لم تقتصر انعكاسات الأوبئة على الجانب الاجتماعي والاقتصادي بل شملت أيضا الحياة السياسية، حيث فتك الطاعون بالعديد من الحكام على سبيل المثال ذهب ضحية وباء 1737م باي وهران يوسف ولد بوشلاغم، كما خلف وباء 1818م العديد من الضحايا من بينهم الداي علي خوجة، ومات كذلك إثر نفس الوباء الخزندار الذي عينه الداي حسين (1818-1830م) خلفا لسابقه الذي مات بالطاعون[1]، ما أدى في الواقع إلى تدمير الأطر الدينية والعسكرية والإدارية[2]، بالإضافة لسلسلة الكوارث الطبيعية التي أثرت على نفسية السكان ومعنوياتهم، وعرقلت مردودهم الاقتصادي والتي نتج عنها بعض التمردات و الثورات الواسعة ضد الحكام و تعسفهم لكثرة المطالب المالية والضغط الجبائي على الأرياف من خلال تجريد حملات على القبائل المعروفة[3]، أدى إلى غياب الأمن وشيوع الفوضى وتكرر الحملات العسكرية، وفي نفس الوقت تعددت هجمات الأساطيل الأوروبية على إيالة الجزائر[4]، كما تناقص عدد الجنود في الحاميات العسكرية[5].

ثانيا: الانعكاسات الاقتصادية.

1. زراعيا.

كانت الزراعة خلال الفترة العثمانية تكتسيها الصعوبة لظروف الطبيعية والصحية والسياسية، كما يذكر لنا سعيدوني الآفات الطبيعية التي كان يتعرض لها الفلاح الجزائري كالأوبئة والمجاعات والقحط والجراد والجفاف التي أثرت على المحاصيل الزراعية[6]، وفي نفس الوقت تعرضت المواشي إلى أنواع من الأمراض والأوبئة ما اصطلح عليه الجائحة الحيوانية (أنظر الصفحات السابقة).

شهدت الكوارث الطبيعية التي عرفتها الجزائر من بينها وباء الطاعون المتكرر، في تأثير على الإنتاج الفلاحي[7]، لذا تسبب وباء 1702م في مجاعة شديدة نتجت عن قلة المحاصيل الزراعية

---

(1) موساوي، **الصحة والسكان**...، المرجع السابق، ص ص. 72 و97.

(2) البزاز، المرجع السابق، ص. 132.

(3) سعيدوني، **تاريخ الجزائر**...، المرجع السابق، ص. 47.

(4) نفسه، ص. 168.

(5) سعيدوني، **الأحوال الصحية**...، المرجع السابق، ص. 569.

(6) سعد الله، أبو القاسم. **محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث بداية الاحتلال**، طخ، عالم المعرفة دار الرائد، 2009، ص. 150.

(7) موساوي، نفس المرجع السابق، ص. 297.

حيث كانت الأراضي تفتقر إلى اليد العاملة ربما جراء الفقر المدقع والجوع وبالتالي كانت المحاصيل الزراعية غير كافية، ما أدى إلى إهمال الزراعة من طرف الفلاحين وأصبحت أراضي واسعة غير مزروعة[1]، وما ساعد على تضرر المحاصيل الزراعية بشكل كبير زحف الجراد ولعل أهم السنوات التي عرفت الجزائر فيها زحف أسراب الجراد هي 1710، 1716، 1725م[2].

كان الجراد يأتي على الأخضر واليابس مما يتسبب في فساد الزرع وتلفه[3]، وكان الانقطاع الديمغرافي الذي نتج عن الكوارث الطبيعية دائما ما يؤثر على اقتصاديات البلاد[4].

ترك وباء 1718م آثار اقتصادية وبذلك انخفضت القدرة الشرائية للسكان وارتفعت الأسعار، تسببت المجاعة الممتدة ما بين 1734و1737م في انخفاض مستوى المعيشة، إذ تعذر على بعض شراء الخبز[5].

ترتب عن المجاعة الشديدة التي نتجت عن اجتياح الجراد عام 1774م، ارتفاع أسعار القمح ما يزيد عن 4 بوجوات، بالإضافة إلى 1786م الذي تسبب في إتلاف المحاصيل الزراعية، وفقد الفلاح غذائه وبذوره وحيواناته وأضحى الناس يأكلون النباتات، وأصبحوا يبحثون عن كل ما يسمح لهم بالعيش من غذاء في باطن الأرض، حتى باع أغلبهم أبناؤهم لتوفير أدنى غذاء لهم[6] ؛ وبذلك تخلى الفلاح عن أرضه، وتقلصت المساحات الزراعية وأصبح من الصعوبة مزاولة الفلاح لنشاطه الزراعي[7].

عند تناقص السكان بسرعة بفعل الأوبئة تتوفر كميات من المحاصيل الزراعية والثروة الحيوانية، ولقد شهد عام 1787م بيع كميات من الإنتاج الحيواني والفلاحي بأسعار زهيدة إلى

---

(1) Marchika, Op. cit., p. 141.

(2) سعيدوني، **الأحوال الصحية...**، المرجع السابق، ص. 564.

(3) الزبيري، محمد العربي. **التجارة الخارجية للشرق الجزائري**، سلسلة الدراسات الكبرى، شركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر د.س، ص. 55.

(4) سعيداني، محفوظ. "**الفلاحة في بلاد المغرب خلال القرنين 18 و19م**" في: مجلة الدراسات التاريخية، ع. 15، جامعة الجزائر 2، 2012-2013، ص. 202.

(5) موساوي، **الصحة والسكان...**، المرجع السابق، ص.297.

(6) نفسه، ص. 298.

(7) عقاد، المرجع السابق، ص. 63.

الأجانب المحتكرين، إثر ذلك فقد الفلاح همته في ممارسة النشاط الفلاحي نظرا لعدم وجود اليد العاملة التي تقوم بحصاد الحقول[1].

أدى وباء 1794م إلى مجاعة كبيرة لذا ارتفعت أسعار الحبوب، حيث بلغ صاع القمح الواحد بـ 15 فرنكا، بينما كان فرنكا واحدا قبل المجاعات، وفي سنة 1799م أهمل حصاد الأراضي الفلاحية جراء وباء الطاعون، تضاءل الإنتاج الفلاحي نتيجة المجاعة التي رافقت وباء 1799م، أدى إلى ارتفاع أسعار القمح والخبز[2]، عرف الإنتاج الزراعي تراجعا منذ سنة 1803م بسبب انتشار الجفاف [3].

وإثر ذلك عرفت البلاد ما بين 1800 و1803م اختفاء الأقوات مما إضطرت الدولة إلى استيراد القمح من الدول الأوروبية[4]، حيث عبر الشعراء عن مدى بؤس ويأس الأهالي من تدهور الأوضاع الاقتصادية بمدينة قسنطينة بما يلي:

"عام مبكرا هاي سيدي بالكساد وغلات النعما

كيف نخبر هاي سيدي بالفساد في كمان حرما

واش تنظرو فيها هلكت راهي فسدت

ما بقات تسمى بلدة

الأسعار راه غلات وفي أمطار الصيف أدفاقوا

الحرث راه صعب نبته اليبس والحجز يكثروا"[5]

وعبر محمد صالح العنتري عن الظروف الصعبة التي كان يعيشها الفلاح بقوله "بحيث أنك لا تجد في ذلك الزمان ولا في الذي قبله من يهتم بأمر الزرع أبدا من اجل بخس قيمته" وقال كذلك "كانت الحراثة زمن الترك ضعيفة لم تتعلق بها أغراض الناس كوقتنا هذا"[6].

---

(1) سعيدوني وبوعبدلي، **الجزائر في التاريخ...**، المرجع السابق، ص ص. 54-55.

(2) موساوي، **الصحة والسكان...**، المرجع السابق، ص. 298.

(3) بولحبال، رياض. **أخبار بلد قسنطينة وحكامها لمؤلف مجهول (دراسة وتحقيق)**، ماجستير في الدراسات العليا، جامعة منتوري، قسنطينة، 2009-2010، ص. 30.

(4) موساوي، **النظام الضريبي...**، المرجع السابق، ص. 27.

(5) غطاس، **أوضاع الجزائر المعاشية...**، المرجع السابق، ص. 362.

(6) العنتري، المصدر السابق، ص ص. 14 و17.

عرفت قسنطينة ما بين 1805 و1808م جفاف عم كامل البايلك انقطعت على إثره الفلاحة، أما المحاصيل الزراعية المخزونة نضبت فعمت بذلك مجاعة شديدة إثر ذلك هلك الناس، استمر الحال كذلك مدة 3 سنوات متتالية[1]، اضطر بعض الأهالي إلى أكل لحوم البشر لاشتداد وطأة الجوع وندرة الغذاء، ما لبثت الأحوال أن تحسنت سنة 1807م بفضل تساقط الأمطار، لكن الجفاف أضر بالبلاد خاصة جيجل عام 1808م زادت المجاعات في شقاء وبؤس الفلاح[2].

أما الفترة 1813-1815م فعرفت إيالة الجزائر خلالها انتشار الجراد بشكل كبير، فدمر مساحات واسعة من المزروعات والأشجار والنباتات وتبعته موجة حادة من الغلاء[3].

عرفت الفترة الممتدة ما بين 1819 و1822م اختفاء الأقوات في بايلك الشرق، حيث عمت المجاعة وعاشت قسنطينة في بؤس وتعاسة، مما أضطر البايلك إلى استيراد الحبوب لتغطية العجز الغذائي في قسنطينة[4].

وتزايدت الأضرار الناجمة عن المجاعات والقحط، وعبر أصحاب المصادر المحلية، عما ترتب عن نقص المواد الفلاحية والغذائية بما يلي:

"القمح ياباهي اللون من شبعتك لا زيادة

أنت قوت كل مسكين بك الصلاة والعبادة"[5].

يتضح من خلال القول الفارط أن اثمان القمح أصبحت مرتفعة، بالإضافة إلى ندرة المحاصيل الزراعية، في حين عجز الفلاحين الجزائريين عن توفير حبوب البذر لزراعة أراضيهم، لذا تعتبر الفلاحة معاش الجزائريين الأساسي، في ظل غياب الاجراءات الضرورية لمساعدتهم من طرف السلطة الحاكمة [6].

---

(1) موساوي، **النظام الضريبي...**، المرجع السابق، ص. 27.

(2) نفسه، ص. 28.

(3) عطية، محمد. "**محن الجزائر في عهد الداي عمر 1815-1817م ومواقفه منها**" في: مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، د.ع، جامعة جيلالي ليابس سيدي بلعباس، ص. 304.

(4) موساوي، نفس المرجع السابق، ص. 28.

(5) هلايلي، حنيفي. **أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، ط. 1، دار الهدى، الجزائر،1429هـ/2008م، ص ص. 163-164.

(6) بوعزيز، يحي. **موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب**، ج. 1، دار الهدى للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص ص. 489-518.

وبالتالي أدت كثرة الكوارث الطبيعية والصحية إلى قلة المحاصيل الزراعية، نتيجة تأثيرها على الفلاح الذي زاد تعاسة وفقرا، ما أدى إلى تدهور الوضع الفلاحي ومنه تقهقر الوضع الاقتصادي للبلاد.

2. تجاريا

أثرت الأوضاع الصحية على المبادلات التجارية [1]، فقد نتج عن وباء 1750م مجاعة شديدة أدت إلى تدهور وركود الحركة التجارية بين الموانئ الجزائرية وباقي موانئ البحر الأبيض المتوسط، أدى إلى عجز تجاري أثر بشكل سلبي على اقتصاديات البلاد بسبب غلق الموانئ المشرقية في وجه السفن الجزائرية، لذا الأوبئة خاصة وباء الطاعون أثر على التجارة بشكل حساس لكن دون تعطيلها نهائيا، عرقل وباء 1755م كل النشاطات التجارية بين قسنطينة وتونس، حيث فرضت إيالة تونس حزام صحي على كل السلع القادمة من بايلك الشرق، حال وباء 1787م دون ممارسة اليهود لتجارتهم متمثلة في تجارة الرثاث في حين كانت تدر عليهم أرباح كثيرة، لكن بعد ذلك واصل اليهود تجارتهم رغم خطورة الملابس والأثاث المستعمل على صحة السكان خاصة أثناء انتشار الأوبئة في إيالة الجزائر [2].

هذا، وقد تدهورت الأوضاع المالية للبلاد بسبب ركود التجارة مخلفا ذلك عجزا في الجانب الاقتصادي للجزائر[3]، وتناقص عدد من الحرفيين ما أدى إلى افتقار الجزائر لمن يقوم بنسج البرانس والملابس الصوفية بفضل هلاك أعداد كثيرة من الصناع والحرفيين[4].

شهدت الجزائر سنة 1794م، انتشار وباء الطاعون الذي خلف العديد من الضحايا، رغم ذلك فإن الطاعون لم يؤثر بشكل كبير على الحياة الاقتصادية، في حين ظلت موانئ شرق الجزائري

---

[1] إن التجارة في الجزائر، لم تقتصر على التجارة الداخلية متمثلة في الأسواق بل مارست التجارة الخارجية من خلال المبدلات التجارية مع دول الجوار المغربية مثل تونس والمغرب وطرابلس الغرب، والدول الأوروبية أهمها فرنسا واسبانيا. أنظر: دحماني، توفيق. **الضرائب في الجزائر 1206-1282هـ/1792-1865م دراسة مقارنة**، دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة بن يوسف بن خدة، الجزائر، 2007-2008، ص ص. 107-109.

[2] موساوي، **الصحة والسكان...**، المرجع السابق، ص. 301.

[3] سعيدوني، **النظام المالي...**، المرجع السابق، ص. 52.

[4] سعيدوني وبوعبدلي، **الجزائر في التاريخ...**، المرجع السابق، ص. 54.

تصدر الحبوب بكميات معتبرة نحو فرنسا، حيث بلغت كمية الصادرات في نفس السنة ما بين مائة وعشرين وثلاثين ألف قنطار من المؤسسات فقط[1].

كان اليهود ومختلف التجار الأجانب يصدرون المنتوجات الفلاحية والحيوانية إلى فرنسا، كما صدرت المؤسسات الفرنسية في نفس السنة نحو مرسيليا حوالي خمسمائة بقرة قامت بشرائها دفعة واحدة، وتعتبر أول مرة تخرج فيها أبقار إيالة الجزائر نحو أوروبا، إثر وباء 1799م أغلقت كل المؤسسات التجارية الفرنسية في الجزائر[2].

وفي سنة 1817م عقد المجلس الصحي بطنجة اجتماعا، للحؤول دون انتقال العدوى من الجزائر نحو المغرب، وإثر وباء طاعون عام 1817م، الذي أثر على الإنتاج الفلاحي الجزائري، لذا تقلصت عملية تصدير الصوف والجلود والزيت[3].

وضعفت الصناعة والتجارة في الجزائر، مما ترتب عنهما انهيار نقدي لقيمة العملة[4]، حيث تنوعت العملة بتنوع حكام الجزائر [5].

يمكن القول أن الجزائر تعرضت لأزمة ديمغرافية حقيقية أدت إلى ضعف الإنتاج الزراعي، ما أضر بالتبادل التجاري.

ثالثا: الواقع الوبائي في البلاد المغاربية.

1. الظاهرة الوبائية.

1.1. في تونس:

عرفت إيالة تونس خلال العهد العثماني عدة كوارث طبيعية كالأوبئة، المجاعات، الجراد، الجفاف، القحوط، الفيضانات، ساهمت في تراجع الوضع الاجتماعي والاقتصادي للمنطقة.

---

(1) الزبيري، المرجع السابق، ص. 52.

(2) نفسه.

(3) موساوي، **الصحة والسكان...**، المرجع السابق، ص. 301.

(4) تنوعت العملات في إيالة الجزائر ولعل أهم العملات المتداولة في الجزائر نجد، السلطاني، الزياني التلمساني، السلطاني العثماني أو السكة، المثقال الفاسي. أنظر: دحماني، **الضرائب...**، المرجع السابق، ص. 116.

(5) صحراوي، المرجع السابق، ص. 34.

أما السنوات التي عرفت فيها البلاد التونسية انتشار الأوبئة فيمكن التعرف عليها على النحو التالي، انتشر وباء الطاعون سنتي 1604-1605م كما انتشر قحطا عظيم عم البلاد كلها، وتفشي وباء الطاعون سنة 1643م دام سبع سنوات[1].

لقد منيت تونس بالطاعون سنة 1673م حيث مسى كامل تراب الإيالة، كما دام وباء 1675م سنة واحدة انتشر في مدينة تونس والمناطق المجاورة لها[2]، ووقعت في البلاد التونسية نكبة مروعة تمثلت في وباء الطاعون سنتي 1687-1688م، ودام الوباء حتى 1689م استمر الوباء ثمانية أشهر[3]. وابتداء من القرن 18م تعرضت تونس لوباء 1705م ليعود بين 1724و1725م، وما بين سنتي 1775و1777م انتشرت مجاعة مروعة في تونس[4].

وبعد تولي حمودة باشا (1782-1814م) عرش تونس بسنة واحدة، حل الطاعون بتونس، حيث اتخذ المذكور عدة إجراءات للوقاية من الوباء للحد من العدوى وكانت تتمثل في طرق حديثة من بينها إقامة الحجر الصحي على السفن القادمة من الخارج[5].

تعرضت تونس خلال القرن 17م والنصف الأول من القرن 18م إلى عدة أوبئة، نبرزها على النحو التالي[6]:

مجال الانتشار	مدة الدوام	سنة الانتشار
الحاضرة وأحوازها	-	1604م
مدينة تونس	-	1620م
مدينة تونس	ستة أشهر	1624م

(1) ألفونص روسو، البارون.**الحوليات التونسية منذ الفتح العربي حتى احتلال فرنسا للجزائر**، نقلها عن الفرنسية ونقحها وحققها محمد عبد الكريم الوافي، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، د.س، ص ص. 110 و121.

(2) عكروتي، رضا. "**الأمراض والأوبئة في تونس أثناء القرنين 17و18م من خلال مدونة الحلل السندسية في الأخبار التونسية للوزير السراج**"، في: م. ت .ع. د.ع، ع. 50، أكتوبر، 2014، ص. 93.

(3) نفسه، ص. 94.

(4) الشريف، محمد الهادي. **ما يجب أن تعرف عن تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال**، تع. محمد الشاوش، محمد عجينة، ط.3، تونس، 1993، ص. 92.

(5) الامام، رشاد. **سياسة حمودة باشا في تونس 1782-1814**، منشورات الجامعة التونسية، تونس، 1980، ص. 337.

(6) عكروتي، نفس المرجع السابق، ص ص. 93-94.

مدينة تونس	سبع سنين	1643م
مدينة تونس وأحوازها	ستة أشهر	1663م
كامل تراب الإيالة	–	1673م
مدينة تونس والمناطق المجاورة	سنة واحدة	1675م
كامل تراب الإيالة	ثمانية أشهر	1689م
تونس وحلق الوادي	–	1701م
الحاضرة وأحوازها	سنتان	1705م
كامل تراب الإيالة	سنتان	1725م

أما المرحلة الممتدة ما بين 1803 و1805م شهدت تونس انتشار وباء الطاعون في كامل تراب الإيالة[1]؛ وفي نفس السنة، رافق وباء الطاعون مجاعة مروعة، كما انتقل وباء الطاعون من الجزائر إلى تونس عام 1818م عن طريق الحجاج، لكن وطأة الوباء كانت حدتها أكبر في الحاضرة التونسية[2]، وبالتالي تعتبر تونس مثل الجزائر فقد تعرضت إلى مجموعة من الأوبئة والكوارث الطبيعية.

اتخذ حمودة باشا أيام وباء 1783م إجراءات متشددة للحد من انتشار العدوى وعرف عند أهل الحاضرة بالوباء الكبير، تتمثل تلك الإجراءات في حرق ثياب الموتى وغسل الغرباء بالمقابر، وسجن مرضاهم[3]، غير أن بعض رجال الدين والأدباء عارضوا تلك الإجراءات وفي هذا الصدد يقول أحد المعارضين:

"وقال أهل الفضل والعرفان نفوض الأمر إلى الرحمان

الخالق المصور القدير ليس الفعل غير تأثير

أمرنا بالذكر والدعاء وهو الذي ينجي من الوباء"[4].

---

[1] سعيدوني، **تاريخ الجزائر**...، المرجع السابق، ص. 48.

[2] سعيداني، **الواقع الاقتصادي**...، المرجع السابق، ص. 84.

[3] الامام، المرجع السابق، ص. 339.

[4] أبي الضياف، المصدر السابق، ص. 14.

يتضح من القول السابق أن رجال الدين والأدباء كانوا يدعون إلى التوكل على الله وعدم الاحتراز من الوباء. رغم ذلك، يعتبر عهد حمودة باشا نقطة تحول في البلاد التونسية نتيجة الإجراءات الوقائية التي اتخذها للحد من الأوبئة[1].

هذا، وفي 1784-1785م حدث أكبر وباء في تونس بعد غياب دام سنوات[2]، ثم انتقل وباء الطاعون إلى الجزائر عام 1787م[3]، ليظهر مجددا في إيالة تونس سنة 1796م[4].

2.1. في المغرب الأقصى

أما بالنسبة للمغرب الأقصى، شهد موجات من الطاعون خلال الفترة المدروسة، فعرفت البلاد خاصة في سنوات 1678-1680م انتشار وباء الطاعون[5].

فقد مني المغرب بانتكاسة مروعة نتيجة الظرفيه الطبيعية والاقتصادية التي كانت تعيشها البلاد[6]، فظهر خلال السنوات 1721، 1724، 1737، 1738م مجاعات مروعة، ليظهر الطاعون من جديد ما بين 1742و1744م[7]، وفي سنة 1750 م ظهر الطاعون وتفشى في المغرب، ووقع في هذه السنة كذلك قحطا بسبب قلة المطر[8] ضربت البلاد مجاعات فضيعة في سنوات 1776، 1779، 1782م، بالإضافة إلى الأوبئة انضافت آفة الجراد، وعاد الطاعون من

---

(1) التونسي، خير الدين. **أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك**، ط.2، الدار التونسية للنشر، تونس، 1986، ص. 28.

(2) Arnoulet françois, « **à-propos des études récentes sur les problèmes de santé dans les provinces ottomanes mediterranennes (XVII^e et XIX^e siècles)** », actes du VI^e symposium international d'études ottomanes sur : bilan d'études et de recherches sur les provinces arabes à l'époque ottomane durant les trente dernières années, études réunies et préfacées par Abdelljelil Temimi, publication de la F.T.E.R.S.I, zaghouan, octobre ,1996, p. 21.

(3) سعيداني، **الواقع الاقتصادي...**، المرجع السابق، ص. 85.

(4) سعيدوني، **تاريخ الجزائر...**، المرجع السابق، ص. 48.

(5) البزاز، المرجع السابق، ص. 52.

(6) الأرقش، دلندة وآخرون. **المغرب العربي الحديث من خلال المصادر**، مركز النشر الجامعي، د.ب، 2003، ص. 61.

(7) البزاز، نفسه.

(8) المشرفي، محمد بن محمد بن مصطفى. **الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية وعد بعض مفاخرها غير المتناهية**، تح. إدريس بوهليلة، ج. 2، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، د.س، ص ص. 13-14.

جديد ما بين سنوات 1798 و1800م، أثر على الحياة الاجتماعية والاقتصادية وحتى السياسية، انعدمت الأوبئة بالمغرب ما بين 1800 و1818م. والواقع أن خمود الأوبئة لم يستمر طويلا إذ عرفت سنة 1818م تفشي الوباء بالمغرب دام حتى 1820م، حيث اتخذ المغرب بعض التدابير الوقائية للحد من العدوى، لم يمضي على الوباء السابق زهاء أربع سنوات حتى تعرضت البلاد لأزمة خانقة تمثلت في مجاعة مروعة خلال سنتي 1825-1826م[1].

تعرضت ولاية طرابلس الغرب إلى بعض الكوارث الطبيعية فضربت البلاد مجاعات مروعة ما بين 1767 و1784م خلفت العديد من الضحايا، وصاحب المجاعة وباء الطاعون في 1785م وقدر عدد الموتى بخمس السكان من المغاربة والأتراك، ونصف اليهود وتسعة أعشار من المسحيين[2]، حيث استمر الوباء حتى 1786م لكنه عرقل الحياة الاقتصادية للمنطقة، وعرفت طرابلس الغرب خمود الأوبئة سنة 1805م لتجدد في السنوات اللاحقة[3].

2. الوقع الاجتماعي والاقتصادي في البلدان المغاربية (دراسة مقارنة).

1.2 اجتماعيا.

تعرضت الولايات المغربية خلال العهد العثماني لعدة كوارث طبيعية أدت إلى الإخلال بالوضع الاجتماعي والاقتصادي، حيث نتج عن تردي الوضع الصحي والمعيشي تراجع النمو الديمغرافي وتناقص عدد السكان، فانكمشت المدن فتضاءل سكان مدينة تونس إثر وباء 1705م فانخفض من 1000000 إلى 40000 ن ؛ أما مدينة الجزائر فتناقص سكانها من 100000 إلى 73000 نسمة سنة 1725م[4]، أما سنتي1724-1725م فقدت تونس أربع وأربعين ألف وفاة من سكانها[5]، وبالنسبة للمغرب فقد بلغ عدد الضحايا من 100 إلى 150 حالة وفاة أي كان يموت ما بين 5 إلى 6 بتطوان، وبطنجة بلغ عدد الضحايا 40، أما مكناس بلغ عدد الموتى ما بين 50 و60 حالة وفاة، وارتفعت الوفيات في طنجة وتطوان من 70 إلى 80 ضحية إثر وباء سنة 1742-1744م، وحصد وباء 1749م بالمغرب ما يزيد عن 60 ضحية في اليوم الواحد[6]،

---

(1) البزاز، المرجع السابق، ص ص. 53-119.

(2) سعيداني، **الواقع الاقتصادي...**، المرجع السابق، ص. 85.

(3) الكندي، المرجع السابق، ص. 663.

(4) سعيدوني، **تاريخ الجزائر...**، المرجع السابق، ص. 50.

(5) روسو، المصدر السابق، ص. 155.

(6) البزاز، نفس المرجع السابق، ص ص. 52-53.

بالإضافة إلى وباء 1750م الذي ذهب ضحيته ثلاثمائة ضحية في اليوم الواحد[1]، أما بالنسبة للجزائر وصل عدد الوفيات إثر وباء 1753م إلى 1700 ضحية[2]، وما بين سنتي 1775و1777م أهلك الطاعون بتونس العديد من السكان لا تتوفر أرقام لتمثيله،أما بالنسبة للجزائر فقد نتج عن وباء 1778م 16.721 ن [3]، فأهلك وباء 1782م بتونس العديد من العباد حتى أفقرت تونس من سكانها[4].

مقارنة بين طاعون الجزائر 1817 وطاعون طنجة 1818م[5].

السكان	الجزائر 1817م				طنجة 1818م		
	العدد	الموتى		العدد	الموتى		
		العدد	النسبة		العدد	النسبة
المسلمون	41.000	13.518	33	6.860	1.970	28
اليهود	7.000	1.771	27	1.55	257	16
المسيحيون	2.000	540	27	115	7	6
المجموع	50.000	15.829	31	8.500	2.214	26

قمنا بتحويل النسب الواردة في الجدول إلى دوائر نسبية في الصفحة الموالية.

(1) الفاسي، المرجع السابق، ص. 14.

(2) Marchika, Op. cit., p . 73.

(3) سعيدوني، **الحياة الريفية...**، المرجع السابق، ص. 328.

(4) الامام، المرجع السابق، ص. 337.

(5) البزاز، المرجع السابق، ص. 113.

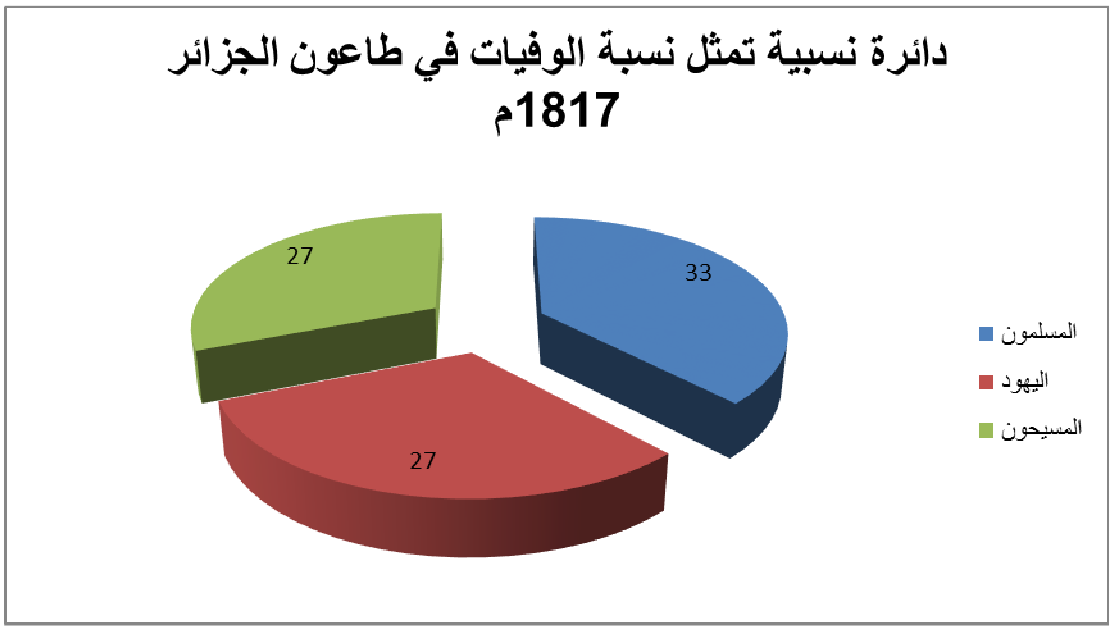

نلاحظ من خلال النسب الواردة في الدائرة النسبية أن المسلمون شكلوا أكبر نسبة وفيات بين اليهود والمسيحيين، لكن النسب تكاد تتقارب بين الفئات الثلاث، ما يسمح بالقول أن الطاعون كان يفتك بمختلف الأجناس رغم طرق الوقاية المتبعة.

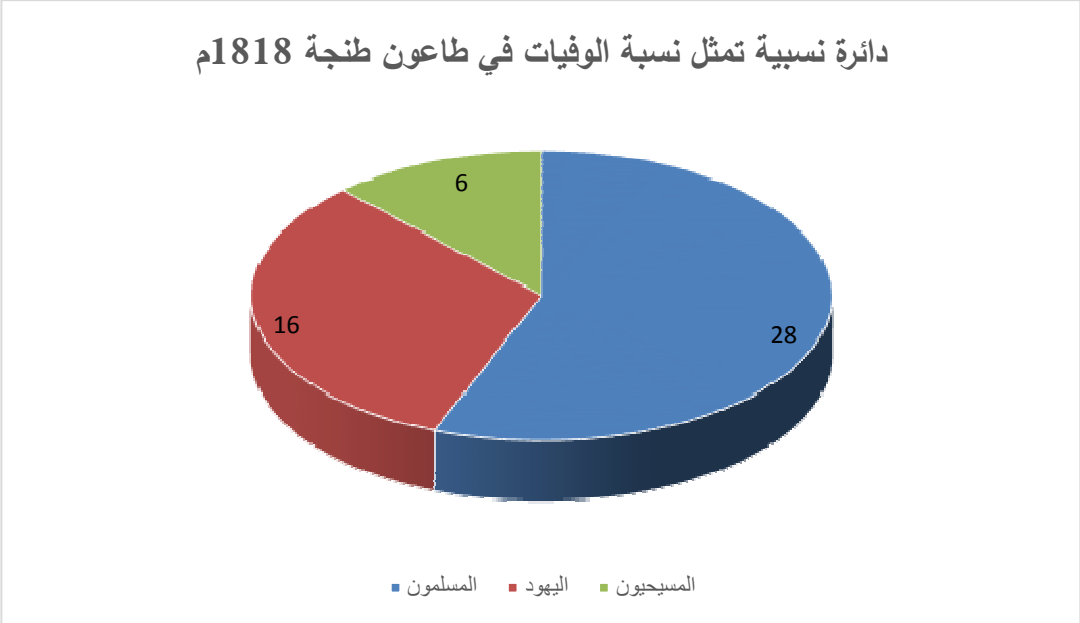

من خلال قراءة هذه النسب، نستنتج أن أكبر نسبة وفيات كانت ضمن فئة المسلمين، بينما شكل المسحيون أقل نسبة وفيات، وما يمكن استنتاجه من خلال مقارنة الدائرتين أن طاعون الجزائر 1817م كان الأكثر حدة وانتشارا من طاعون طنجة 1818م.

هذا، وقد ظهر الطاعون من جديد في البلاد المغاربية عام 1818م، وقد قضى على عدد كبير من سكان إيالة الجزائر بداية من جانفي إلى ديسمبر ما قدره 7.951 ضحية[1].

أما بالنسبة للمغرب فهلك طاعون 1818م في الشهر الأول 267 ضحية وارتفعت إلى 479 ضحية[2]، وبالنسبة لوباء 1819م بلغ عدد الموتى بمدينة الجزائر 2.060 ضحية في ظرف إثنى عشر شهرا[3]، ليظهر الطاعون في 22 ماي 1819 م بالمغرب ما أدى إلى هلاك 31 ضحية بين 22 ماي و30 جوان[4]، وفي تونس 1818-1820م تراجع السكان إلى النصف[5].

يتضح من هذه المقارنة أن وباء الطاعون كان العامل الأساسي في تراجع حركة النمو الديمغرافي.

2. اقتصاديا.

تقاسمت المجاعة والطاعون الدور الخطير في تدهور التجارة والحرف ضمن الآثار التي خلفتها على الصعيدين، ما أدى إلى قلة عدد العمال وصناع، فتعرض بذلك المجتمع المغاربي لأزمة حقيقية أدت إلى ضعف الإنتاج الزراعي، وتضرر التبادل التجاري.

هذا، وسادت مجاعة قوية سنة 1717م بالجزائر بسبب الجفاف الذي عم البلاد، إلى جانب حملات الجراد من نفس السنة[6]، فما بين 1721 و1724م ضربت المغرب الأقصى مجاعات فظيعة[7]، عرفت الجزائر مجاعة تكرارية ما بين السنوات 1734 و1737م ما أدى إلى تعطل الفعاليات البشرية والاقتصادية فساد الكساد في ميادين المبادلات الاقتصادية[8]. لقد آنشب الجوع مخالبه في المغرب عام 1737م[9]، أما بالنسبة لتونس فتعرضت لشبح المجاعة ما بين سنتي 1775 و1777م[10]، وظهرت المجاعة من جديد في المغرب ما بين 1779و1782م فدمرت

---

(1) موساوي، **الصحة والسكان...**، المرجع السابق، ص. 326.

(2) البزاز، المرجع السابق، ص. 111.

(3) موساوي، نفس المرجع السابق، ص. 327.

(4) البزاز، نفس المرجع السابق، ص. 112.

(5) ابي الضياف، المصدر السابق، ص. 129.

(6) سعيداني، **الواقع الاقتصادي...**، المرجع السابق، ص. 84.

(7) البزاز، نفس المرجع السابق، ص. 61.

(8) موساوي، نفس المرجع السابق، ص. 72.

(9) البزاز، نفس المرجع السابق، ص. 64.

(10) الهادي الشريف، المرجع السابق، ص. 92.

البلاد وأضرت بالعباد إلى جانب اجتياح أسراب الجراد [1]. لقد نتج عن اجتياح الجراد ما بين 1778و1804م نشوب مجاعة عمت القطر الجزائري، وقد عان بايلك وهران من هذه المجاعة بصفة خاصة[2].

وفي المقابل فإن سنوات 1697-1798م بالنسبة لتونس، و1770-1800م بالنسبة للجزائر، كان انتعاش اقتصادي مؤقت الذي ترتب عنه رخاء نسبي[3].

أحدثت الطواعين أكبر خسائر في المجتمعات المغاربية، حيث كان من الطبيعي ان تنعكس على الحياة الاقتصادية، مما أثر سلبا على الحياة الفلاحية بحصد الطاعون العديد من أرواح الفلاحين، مما أدى إلى قلة اليد العاملة الزراعية، وعطل الأنشطة الحرفية، فركدت بذلك التجارة ظرفيا.

---

[1] البزاز، المرجع السابق، ص. 73.

[2] موساوي، **الصحة والسكان** ...، المرجع السابق، ص. 79.

[3] سعيدوني، **تاريخ الجزائر**...، المرجع السابق، ص. 49.

خـــاتـمة

أسفرت دراستنا لموضوع الظاهرة الوبائية خلال عهد الدايات أسبابها وانعكاساتها عن مجموعة من النتائج المهمة نلخصها فيمايلي:

- عرفت البلاد الجزائرية انتشار الأمراض والأوبئة قبل الوجود العثماني وازدادت حدتها منذ التحاق بلادنا بالباب العالي، وبذلك أصبحت إيالة الجزائرموطنا للعديد من الأمراض والأوبئة الخطيرة التي شكلت خطرا كبيرا على السكان.
- لقد عرفت الجزائر العديد من الكوارث الطبيعية مثل الفيضانات والزلازل والجفاف والقحط، علاوة على اجتياح أسراب الجراد الذي ساهم في حدوث مجاعات مروعة أدت إلى تجويع السكان.
- تعاقبت على إيالة الجزائر العديد من المجاعات الفظيعة ساهمت في تراجع النمو السكاني والزراعي، حيث أقفرت البلاد من العباد والغذاء.
- تسببت الحمى بأنواعها في خسائر فادحة حيث عانت منها مختلف الشرائح الاجتماعية خاصة الفئة الفقيرة.
- كان للتغيرات المناخية ارتباط وثيق بالأمراض والأوبئة، حيث تؤدي الرطوبة إلى انتشار عدوى المرض.
- ارتبطت معظم أوبئة الطاعون بحركة سير الأفراد والبضائع، لذا ساهمت قوافل الحجاج وحركة المبادلات التجارية عبر مختلف المناطق الجغرافية، ومازاد من حدتها فرار السكان جراء حرائق موجعة ومجاعة مروعة، ماجعل المدن والقرى تواجه انتشار العدوى بسرعة كبيرة، وهذا ما كان له انعكاس كبير على البنية الاجتماعية الجزائرية.
- لقد ترددت أوبئة الطاعون باستمرار على الجزائر العثمانية خلال الفترة المدروسة والتي سبقتها، نتيجة العلاقات البحرية مع موانئ المشرق التي كان يتواجد بها جرثوم المرض باستمرار، وظلت مدة طويلة مصدرة لمرض الطاعون.

- أثارت الأمراض والأوبئة مخاوف الحكام والسكان وأدخلت الخوف والفزع في نفوسهم، مما قادهم إلى الفرار من المناطق الموبوءة، حيث ساهم الأفراد في نقل عدوى المرض على المناطق التي حلوا بها.
- لم تقتصر انعكاسات الأوبئة والأمراض على الأطر الاجتماعية والاقتصادية بل تعدته إلى الجانب السياسي، وترتب عن ذلك العديد من الانعكاسات فنجد موت الحكام وشيوع الفوضى وأهمها حدوث الثورات.
- لقد تباينت مواقف حكام الجزائر حول مواجهة تلك الأمراض والأوبئة فنجد منهم من لم يبذل جهد لمكافحة هذه الأمراض ومنهم من وضع إجراءات صارمة للحد من أثر الأوبئة في الجزائر.
- لقد تكفل بصحة السكان وعلاجهم الطالب أو المرابط من خلال التجربة المتوارثة عن الأجداد، حيث كان السكان يعللون كل الأمراض النفسية أو العضوية بالقدر وبالإرادة الله، لذا كان التداوي بالأعشاب من طرف الجزائريين قد بلغ مستوى لا بأس به في فترة الدايات.
- يعود تراجع الطب في الجزائر إلى انعدام المراكز التعليمية خاصة وأن الحكام لم يعطوا أي اهتمام للتعليم حيث انصب الاهتمام على الجانب العسكري.
- يعتبر وباء الطاعون من أخطر الأوبئة التي شهدتها الجزائر طيلة العهد العثماني وخاصة أواخره.
- تعاقبت الأوبئة بصفة دورية مرة كل متوسط خمسة عشر أو خمسة وعشرين سنة على إيالة الجزائر.
- لقد أثرت الأوبئة على البنية الديموغرافية ماأدى إلى تراجع اقتصاديات البلاد، فركدت بذلك الزراعة والتجارة.

الملاحق

الملحق رقم1: أهم الأوبئة التي تعرضت لها بلاد المغرب خلال القرن 13-15م [1]

سنة الوباء	مكان وقوعه	العبارات الدالة عليه في المصدر والمرجع	المصدر/المرجع
588هـ/1192م	بجاية	"وأقام السيد (أبو زيد بن أبي حفص بن عبد المؤمن) على هذه الحال والمجاعة تشتد والوباء يزيد حتى عم الموتان	ابن عذاري: البيان المغرب (الموحدي)، ص. 181.
610هـ/1213م	المغرب	"وفيها كان الوباء بالمغرب والأندلس"	ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص. 272، مجهول: الذخيرة السنية، ص49، الناصري: الاستقصاء ¾.
630هـ/1232م	المغرب	"وفيها خلت بلاد المغرب وكثر فيها الجوع والوباء"	ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص. 276.
635هـ/1237م	المغرب	"وفيها اشتد الغلاء والوباء بالعدوى فأكل الناس بعضهم بعضا، وكان يدفن في الحفرة الواحدة المائة من الناس"	ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص ص. 362-263.
656هـ/1258م	إفريقية	" في هذه السنة شمل الناس بتونس وغيرها مرض واعتل السلطان المستنصر أياما ثم أفاق، وكان يقال: إنه سببه ما تأدى إلى إفريقية من زخامة قتلى بغداد حين فعل التتر بهم ما فعل"	ابن قنفد: الفارسية، ص. 121.
693هـ/1293م	المغرب	وفيها كانت المجاعة الشديدة والوباء العظيم بالمغرب وإفريقية ومصر، هلك فيها خلق كثير	ابن زرع: روض القرطاس، ص ص. 539-540، الناصري: الاستقصاء، 90/3.
740هـ/1339م	الجزائر	"إلى توفي (أبو عبد الله الرندي) في سنة أربعين في وباء كان قد احترم جماعة توجهوا صحبة مولانا المرحوم (أبي الحسن المريني) إلى الجزائر"	ابن مرزوق: المسند/ ص. 261
748-749-750هـ/1347-	المغرب الأوسط والعالم كله	" ثم جاء الطاعون الجارف فطوى البساط بما فيه"	ابن بطوطة: تحفة الأنظار، 161/1. ابن مرزوق: المناقب المرزوقية

[1] مزدور، المرجع السابق، ص ص. 135-137.

1348-1349م			ص187/نفسه. المسند: ص ص. 264-265، ابن خلدون التعريف بابن خلدون ص ص. 64-65. نفسه، العبر، 713/6. ابن الشماع، الادلة البنية، ص. 98. ابن القنفد، شرف الطالب 653/2. نفسه، أنس الفقير، ص87. المازوني، الدرر المكنونة، 15/2. ب، ابن مريم، البستان، ص. 126. السلاوي، الاستقصا، 181/3.
أواخر 765هـ/1363م	المسيلة وطن قبيلة رياح	" ثم نزل بالوزير عبد الله بن مسلم داء الطاعون الذي عاود أهل العمران عامئذ من بعدما أهلكهم به ولده وعشرة الراجعين، وهلك في طريقه وأوصلوا شلوه إلى تلمسان فدفن بها	ابن خلدون، العبر، 265/7
805هـ/1402م	إفريقية	" وفي هذه السنة وقع الوباء بتونس وجهاتها، وبسببه رجع الخليفة (أبو فارس عبد العزيز) من حركته إلى الحضرة ومكانتها	ابن القنفد: الفارسية، ص. 199
845هـ/1441م	تلمسان والمغرب ككل	" وتوفي وابن زاغو المغراوي التلمساني، يوم الخميس وقت العصر رابع عشر ربيع الأول سن 845هـ 1441م في الوباء"	القلصادي: الرحلة، ص. 101، 105-106، إبن القاضي: لقط الفرائد،752/2، إبن الأعوج: زبدة التاريخ، 71/3، إبن مريم: البستان: ص. 43، التنبكتي: نيل الابتهاج ص. 630، نفسه: كفاية المحتاج، ص ص. 60-62.
847هـ/1443م	تونس ونواحيها	" وفي أوائل عام سبعة وأربعين (وثمانمائة)، كان الوباء بتونس ونواحيها"	الزركشي: تاريخ الدولتين ص. 141 التنبكتي: نيل الابتهاج، ص ص.

			530-529
856هـ/1452م	المغرب	" وفي هذه السنة كان الوباء عظيم بالمغرب يسمى وباء عزونة	ابن القاضي: لقط الفرائد، 761/2
781هـ/1466م	تلمسان	" وتوفي (ابن العباس التلمساني) بالطاعون آخر عام 871هـ/1466م ودفن بالعباد"	ابن مريم: البستان، ص. 224 التنبكتي: نيل الابتهاج، ص. 547
886هـ/1481م	المغرب	" وفي هذه السنة أيضا كان وباء بالمغرب"	ابن القاضي: درة الحجال، ص. 203.
نهاية القرن 9هـ/15م	المغرب	"زهري لم ينجو منه إلا القليل"	الوزان: وصف إفريقيا، 59/1.
926هـ/1519م	تلمسان والمغرب	"ظهر الوباء في أول ربيع منها (سنة 926هـ/1519م) وغاية ما بلغ في اليوم أربعمائة نفس في آخر جمادى منها بموافقة وسط يومية، وذهب في آخر شعبان وكان إقبالة من ناحية تلمسان"	ابن القاضي: لقط الفرائد، 841/2.
927هـ/1520م	المغرب	" كان بالمغرب غلاء عظيم ومجاعة مفرطة ووباء جارف ولم يترك في هذه السنة نقطة مطر"	ابن القاضي، لقط الفرائد 842/2

الملحق رقم 2: وباء الطاعون خلال القرنين 14-15م[1]

التاريخ		المكان	النوعية	الشدة والوقع	المصادر
الهجري	الميلادي				
748- 751	1347- 1350	إفريقية والمغرب والأندلس	الطاعون	عم الموت جزيرة الأندلس، وعم الموتان أرض إفريقية بأسرها جبالها وصحاريها حرز ما هلك من نوع الإنسان به بسبعة أعشار.	ابن الخطيب، 1863، ص9. ابن الخطيب، 1928، ج2، ص53. ابن الخاتمة، المخطوط، ابن حجر المخطوط ابن خلدون، 1967-1968، ج. 1، ص. 53، ج. 7 ص. 517، 812-837 849. المقريزي 1948، ج. 2، ق III، ص. 777. النباهي 1948، ص ص. 154-157و 161-163. ابن قنفذ،1983، ص ص. 354-356
766	1364	تونس	طاعون	هلك فيه ابن تافرجين	ابن الشماع، 1984، ص.

[1] السعداوي، المرجع السابق، ص. 125.

					.105
769	1367	غرناطة	وباء		ابن الخطيب، 1928، ج. 2، ص. 53.
796	1393	إفريقية	طاعون		لأبي، 1902، ج. 6، ص ص. 33-34.
805	1402	تونس وجهاتها	وباء		ابن قنفذ، 1968، ص. 199.
815	1412	فاس	طاعون	الطاعون والمجاعة	L'Africaina j.L1956 p171-172, hate 70.
818	1415	مكناس	طاعون	مات به الشيخ عمر بن الفتوح	ابن غازي، 1964، ص. 59. ابن مريم، 1908، ص. 264.
847-844	1440-1443	إفريقية والمغرب والأندلس	طاعون	الوباء العظيم هلك فيه جميع العلماء والأعيان	الزركشي،1966، ص. 141. ابن مريم، 1908، ص. 43 الطنبوكتي،1911، ص. 80.
857-856	1452-1453	المغرب وإفريقية	وباء		الزركشي،1966، ص. 147. الطنبوكتي،1911، ص.

					.80
873-871	1466-1468	الأندلس والمغرب وإفريقية	طاعون	ولم يزل يتزايد بتونس حتى بلغ ألف كل يوم	Lévi-provencal, 1931,T. 1,p. 175 Brunschvigh, 1936, p. 200 الزركشي،1966، ص. 158 ابن مريم، 1908، ص. 224 السراج، 1984، ج. 2، ص. 200. ابن أبي دينار، 1967، ص. 158.
899-898	1492-1493	إفريقية وفاس	وباء	وباء عظيم مات فيه خلق كثيرون ومات به السلطان ومات به السلطان أبو زكريا	ابن أبي دينار، 1967، ص. 159. السراج، 1984، ج. 2، ص201.. Chronique juivé cite parse mmach V.D, 1934, p. 92.

الملحق رقم 3: الأوبئة والكوارث الطبيعية التي عرفتها الجزائر من القرن 16 إلى بداية القرن 18م[1]

التاريخ	نوعية الكارثة	المجال
1517-1530م	فترة 13 سنة خالية من الأوبئة (الطاعون) استقرار عدد السكان 4000ن.	/
1535م	طاعون	مدينة الجزائر
1542-1545م	طاعون	مدينة وهران
1548م	طاعون+مجاعة	/
1551م	مجاعة	/
1552-1553م	مجاعة +طاعون-9.000 أموات حسب MARCHIKA	/
1554م	طاعون	وهران
1556م	طاعون : عدد الموتى يزداد يوميا	/
1557م	طاعون	وهران تلمسان
3 مارس 1572م	طاعون أسفر عن قتل أكثر من $\frac{1}{3}$ سكان الإيالة MARCHIK	كامل الإيالة

[1] موساوي، **الصحة والسكان...**، المرجع السابق، ص ص. 111-113.

1575م	خمود الطاعون رغم المجاعات + فيضانات عام 1579م +جفاف مابين 17 جانفي و17 فيفري 1580م 5656 موتى بمدينة الجزائر.	مدينة الجزائر
1582 و1584م	وباء الطاعون	قسنطينة كانوا السكان يموتون يوميا بأعداد هائلة: عام الطاعون
1584-1590م	حمود الطاعون خلال 6 سنوات	/
1591 إلى 1597م	جفاف -إتلاف المحاصيل الفلاحية+ مجاعة حادة +الطاعون	تونس-انقراض ديمغرافي كبير
القـــرن الســـابـــع عـشـــر		
1601م	جفاف جراد-مجاعة كبيرة- أوبئة متواترة: طاعون دملي	الجزائر
1605م	زلزال+ وفاة يوميا 700 ضحية	مدينة الجزائر
1615إلى 1620م	خمود الطاعون	/
1620م	الحبوبةالكبيرة-انهيار ديموغرافي هام لسكان مدينة الجزائر عام 1621م: 200.00ن قبل الطاعون- النصف الأول من القرن 17: أوبئة خطيرة في كل بلدات	مدينة الجزائر

	البحر المتوسط.	
1639-1649م	أوبئة تكرارية+ زلزال+ مجاعة	الجزائر، قسنطينة(300 أموات خلال 3 أيام)، بسكرة (نسبة هامة من الوفيات- مساجدة ومنازل بسكرة خالية)
1650-1654م	إختفاء الطاعون 1654 وعودته في 1666م خلف 500 أموات في واحد $\frac{1}{3}$ سكان الجزائر	الجزائر+ وهران+ بجاية + قسنطينة
1650م	/	سكان الجزائر 100.000ن
1666-1673م	زوال الطاعون في إيالة الجزائر	/
1673-1702م	أوبئة تكرارية + فيضانات +حرائق +مجاعات (1691 م عام البرورو) خسائر بشرية هامة 25.000.	وهران + الجزائر
1702-1717م	خمود الطاعون / 3 إلى 5 فيفري 1716م زلازل + جفاف +جراد + مجاعة مروعة 6 سنوات - 1718: طاعون / حريق عام 1723.	45.000 ضحايا سنويا.
القرن الثامن عشر		
1718-1730م	خمود الطاعون	/
1730-1732م	عودة الطاعون	/

1734 إلى 1735م	مجاعة مفجعة	/
1738م	عام الطاعون	/
مارس 1740-1744م	عودة الطاعون الذي نتج عن مجاعة عام 1738م	/
1740 م	وباء	بلغ عدد الضحايا خلال الأسبوع الأول 1000 ضحية بنسبة يومية تتراوح مابين 200 إلى 400 وفاة (حسب مارشيكا) أحدث أعداد هامة من الأموات 70.000 أموات في 25 مارس 1740م
1742-1744م	عودة الوباء	قتل مابين 8.000 و 10.000 شخص يوميا بمدينة الجزائر يبدو أن هذا الرقم مبالغ فيه
1755م	مجاعة + زلزال –حريق	/
1756-1758م	قمة الطاعون	/
1759-1761م	خمود الطاعون	/
1762م	عودة الطاعون +زلزال	مدينة الجزائر
1763-1764م	طاعون + مجاعة مروعة	/
1764-1778م	خمود الطاعون	/
1767م	مجاعة خطيرة	/
1770-1774م	زلازل+ اجتياح الجراد – مجاعات	/
1778-1804م	رجوع أوبئة الطاعون –مجاعة	/

	كبرى	
1783م	وباء الطاعون: مجاعة مروعة	/
1786م	وباء خطير	/
1787م	وباء خطير – جائحة حيوانية	/
مارس 1787م	رجوع الطاعون	/
8–9 أكتوبر 1790م	زلزال	وهران
1792 إلى 1804م	طاعون	الجزائر، وهران، قسنطينة، دلس، عنابة، تلمسان، 23 مارس 1799 طاعون تلمسان/ وهران/تاقدمت +مجاعة قسنطينة.
1802–1804م	زلزال + قحط	القليعة، إيالة الجزائر
1808م	إجتياح الجراد + مجاعة مروعة	/
1814م	الجراد	/
1816م	طاعون +مجاعة +جراد	/
1817م	جراد	/
1818م	طاعون + زلزال	مدينة الجزائر+ وهران
مارس1819م	طاعون	عبر كل الإيالة
1822م	آخر طاعون عرفته الجزائر العثمانية	عبر كل الإيالة

ملحق رقم 4: قائمة الأعشاب المستعملة للتداوي[1]*.

- سنا–سنى: جنبة تستعمل ثماره للإسهال ⟵ Séné : SENNA
- فشاع جنبات معترشة–زنبق ⟵ SALSE PAREILLE : ACHBA
- شجرة الزيتون ⟵ SZ–ZANBUJ : OLIVIER SAVVAG
- البابونج نبات عشبي عديد المنافع يساعد على الهضم ويزيل السعال الخفيف : CAMOMILLE MAMLAL (MATRICARIA CHAMOMILLA)
- العداد المستعمل في التبخير (ATRACTYLIS GUMMIFERA) CHARDON : ADAD
- سرجينة جذورها استعملت للتبخير / سميت أيضا بخور البربر SARGHINE/ Aw srgint (corrigiolA TelephiifoliA)
- الجاوي كان شائع الإستعمال للتدواي والتبخير ⟵ BENJOIN : DJAOUI
- نعناع: فوائده عديدة ومتنوعة ⟵ MANTHE : NANA
- العنتدة عشبة كانت تؤكل أثناء المجاعات ⟵ ARGNIER : TIZYUT–WARGAN
- الكنين: مادة شبه قلوية، تستخرج من لحاء الكينا تستعمل دواء للحمى ⟵ QUININE
- العلاج بالثوم يستخدم لعلاج السعال الديكي والسل الرئوي والكوليرا وللوقاية من الطاعون.
- العلاج بالبقدونس
- الحناء ⟵ HENNE : HENNA استعملت لتطهير الجروح والقروح بالقدمين.
- رواند: عشب ذو منافع طيبة عديد ⟵ RHUBARBE
- الحلبة العلاج الأورام والقروح والدمامل ⟵ FENUGREC–HOLBA
- العلاج بالخروع الاستعمال في حالات إزالة عفونة المعدة والأمعاء وإزالة : البثور والبقع الجلدية والجرب.

---

[1] VAN DAN BOOGERT, (NICO), '**LA Révélation des Enigmes '' Lexique Arabo-Berbères des XVII^e et XVIII^ES**. Etude Traduite de l'Anglais par Claude Bernier-Estrine C.N.R.S.I.R.E.M.A.M.1998.

نقلا عن: موساوي، **الصحة والسكان...**، المرجع السابق، ص ص. 412–417.

– بن محمد العراقي، فيصل.**الأعشاب دواء لكل داء**، ط. 1، د، د، ن، مكة، 1412هـ، ص ص. 36–103.

*قائمة الأعشاب المستعملة لمعالجة الطاعون قمنا باختزالها فقط على الأعشاب المقتصرة على موضوع بحثنا .

- العرعار كان شائع الإستعمال ⟵ GENEVRIER : AZUKA (JUNIPERU SPHOENICEA)
- أكليل الجبل لعلاج السعال⟵ ROMARIN : AZIR
- الكروية ⟵ CARVI : IKRWYT : /CARUM –CARVI

الملحق رقم 5: صورة توضح حشرة البرغوث الناقلة لمرض الطاعون [1].

[1] جبر أحمد ،عبد الرزاق. **الطاعون المرض القادم**، قسم الإنتاج الحيواني، ص. 8.

الملحق رقم6: صورة مجهرية للبكتيرية المسببة للطاعون [1].

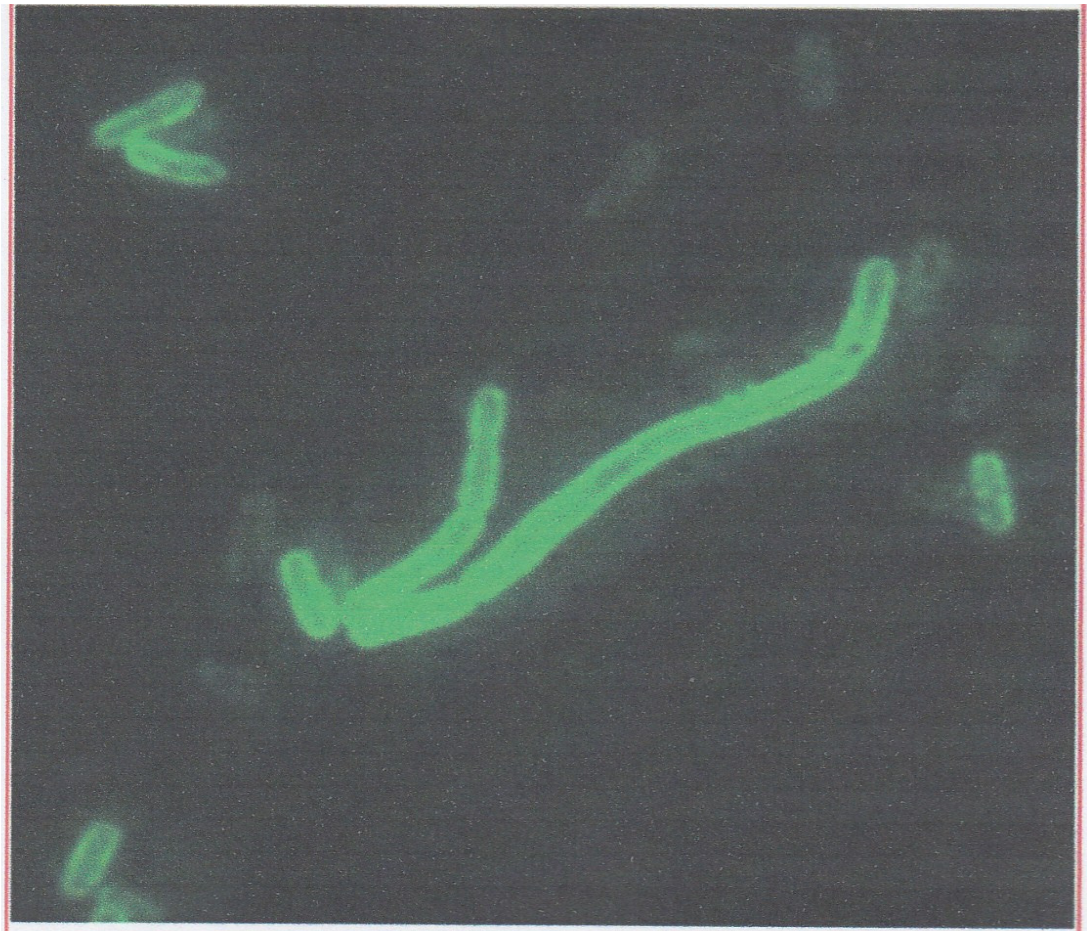

[1] جبر أحمد، المرجع السابق، ص. 2.

الملحق رقم 7: صورة توضح شخص مصاب بالطاعون الدملي [1].

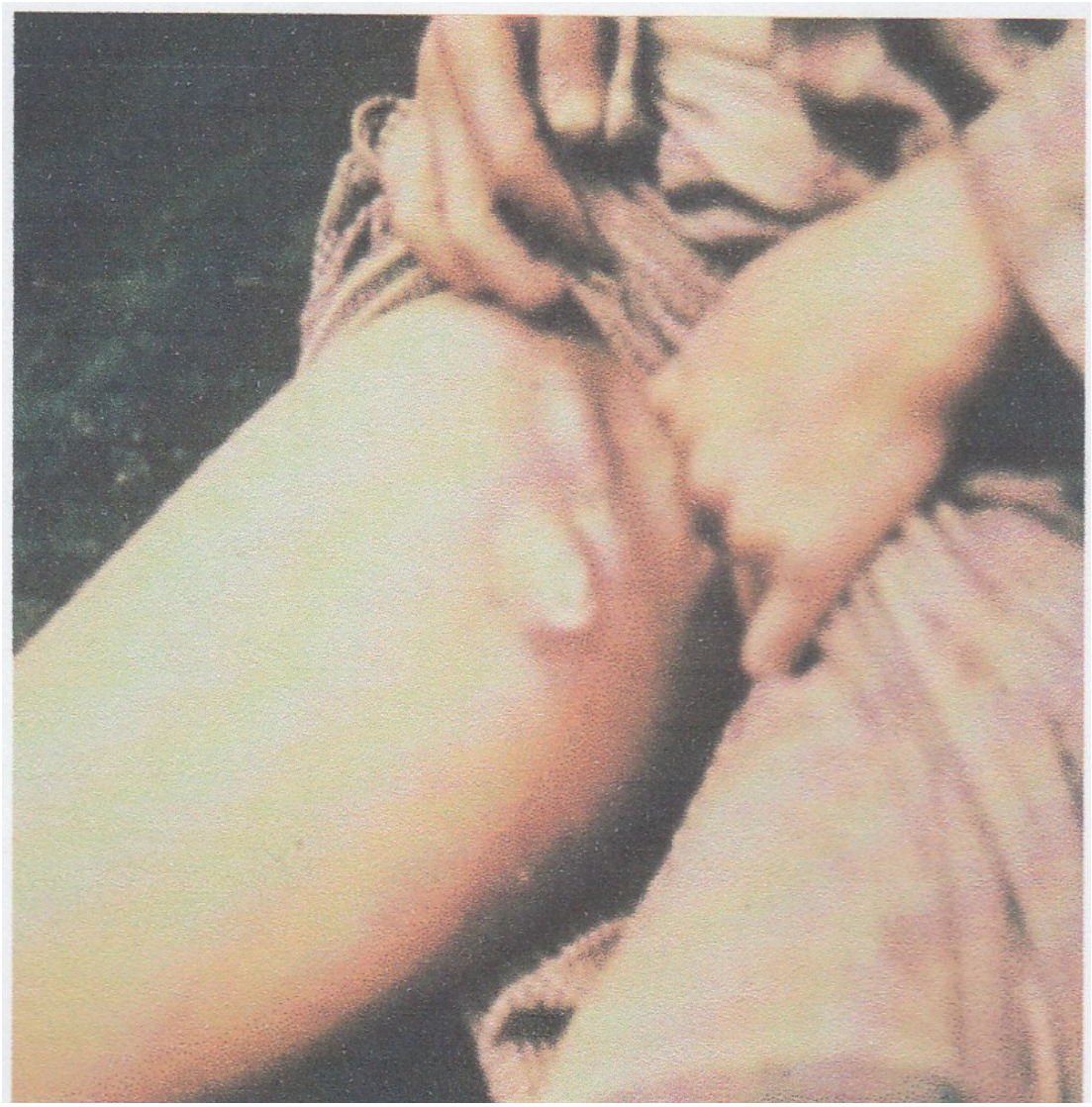

[1] جبر أحمد، المرجع السابق، ص. 7.

الملحق رقم 8: رسالة من القنصل ديفال إلى الإدارة الصحية بمارسيليا تشير إلى " انتشار الطاعون من الجزائر إلى قسنطينة وعنابة [1].

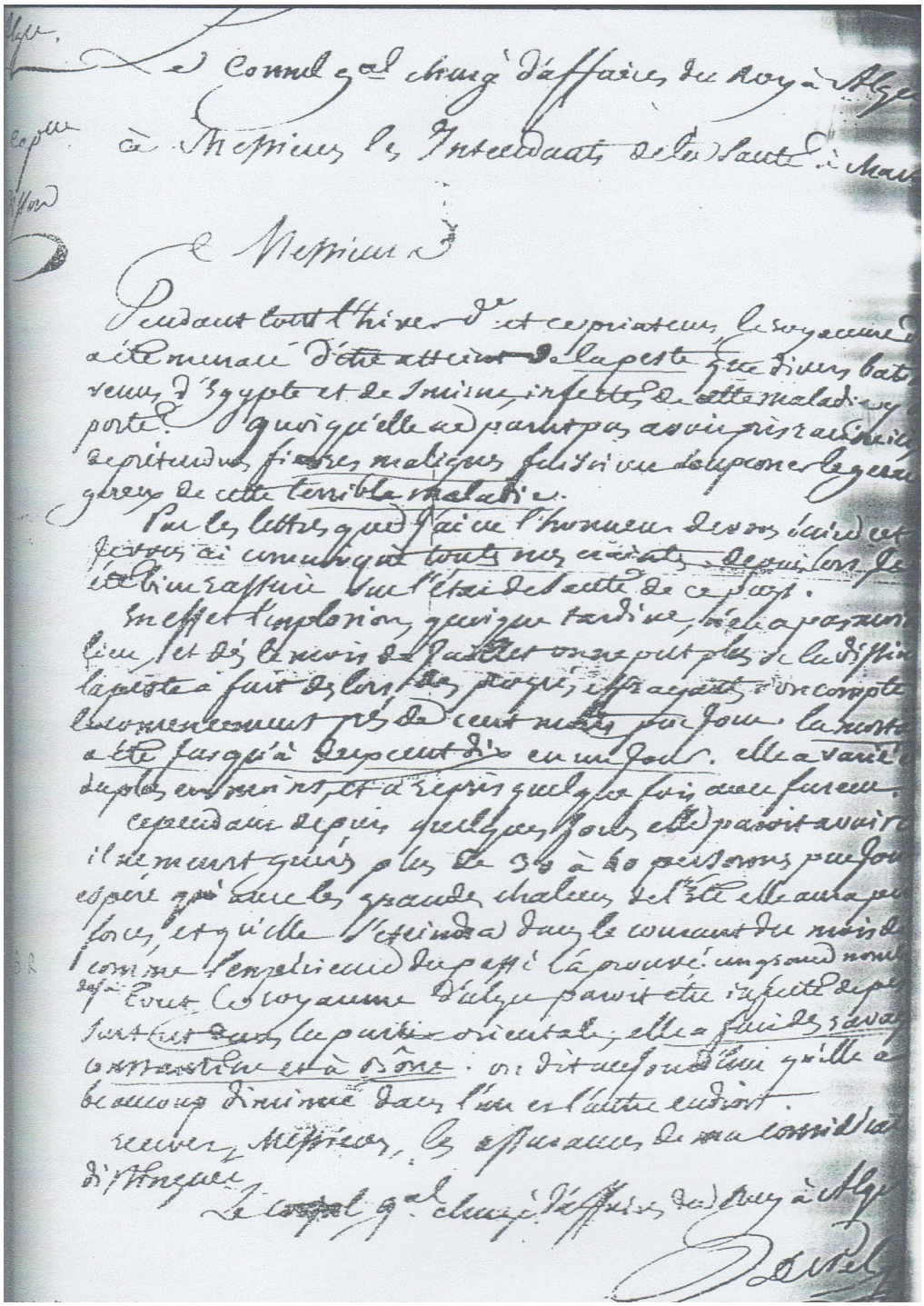

[1] المصدر المعتمد A.D.B.R، نقلا عن: موساوي، **الصحة والسكان...**، المرجع السابق، ص. 100.

الملحق رقم 9: رسالة من القنصل ديفال إلى الإدارة الصحية بمارسيليا حول الطاعون بشهر أفريل 1819م[1].

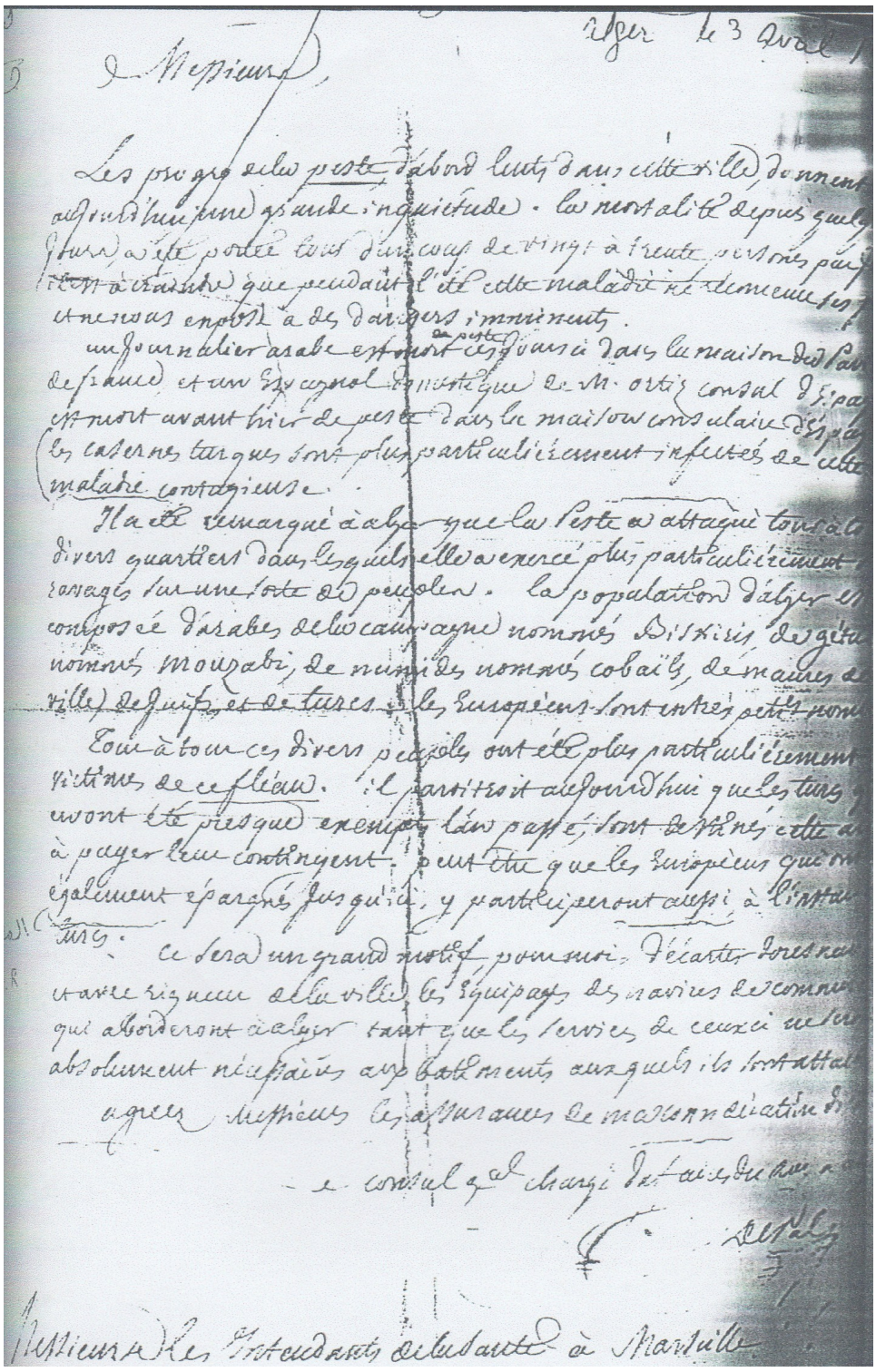

[1] نقلا عن : موساوي، **الصحة والسكان...**، المرجع السابق، ص. 102.

الملحق رقم 10: خريطة تبين مصدر انتقال العدوى من المشرق إلى الجزائر أثناء القرن الثامن عشر[1].

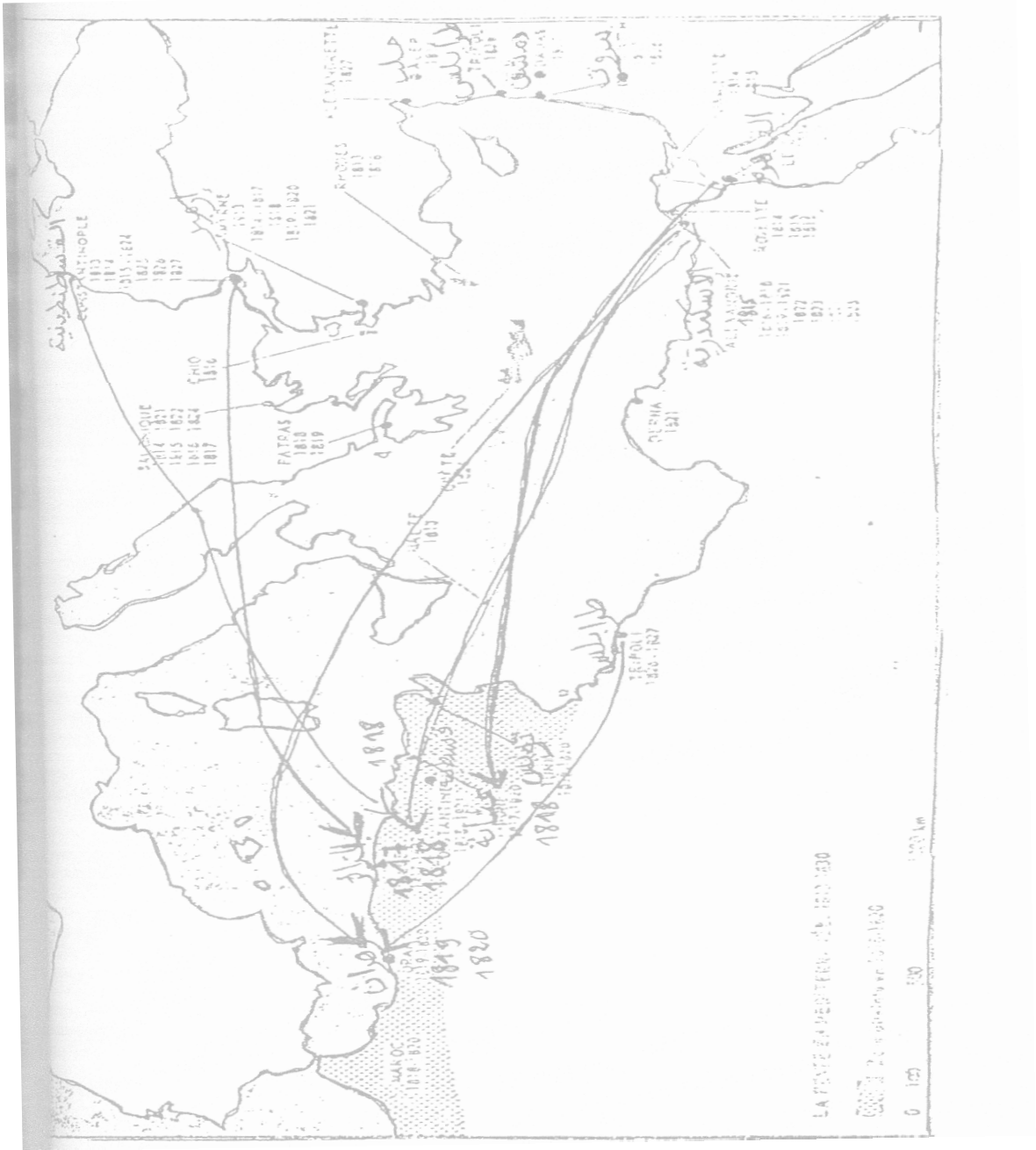

[1] Valensi, Lucette. "**Calamités démographiques en Tunisie et en Méditerranée orientale aux 18e et 19e s.**", in : A.E.S.C., 1969.

نقلا عن: موساوي، **الصحة والسكان...**، المرجع السابق، ص. 76.

القائمة

البيبليوغرافية

القرآن الكريم.

1.المخطوطات المنشورة:

- أبو الراس، الناصري. **مخطوطة ما رواه الواعون في أخبار الطاعون**، تح. محمد بن عتيق الحمصي، مكتبة الأستاذ الدكتور محمد بن تركي، الإسكندرية.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر. **مخطوطة رسالة في الطاعون**، مكتبة الملك عبد الله بن عبد العزيز، مملكة العربية السعودية، وزارة التعليم العالي، مكة المكرمة، قسم المخطوطات.

2.المصادر العربية:

- ابن خاتمة. **تحصيل غرض القاصد في تفضيل مرض الوافد**، نشر ضمن كتاب عبد الكريم الخطابي، الطب والأطباء في الأندلس الإسلامية، ج. 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988.
- ابن عذاري ، المراكشي. **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تح. محمد إبراهيم الكتاني وآخرون، ط. 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1406هـ/1985م.
- أبي جعفر محمد بن جرير ،الطبري. **تاريخ الطبري تاريخ الأمم والملوك**، راجعة. نواف الجراح، مج. 2، دار صادر، بيروت، 1424هـ/2003 م.
- ابي عبد الله محمد بن أحمد ، التلمساني. **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**، منشورات السهل، صدر هذا الكتاب بدعم من وزارة الثقافة في إطار الصندوق الوطني لترقية الفنون والآداب وتطورها، الجزائر، 2009.
- ابي عبد الله محمد بن أحمد ، التلمساني. **نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان ملوك الدولة الزيانية الجزائرية**، تح. بوطالب محي الدين، منشورات دحلب، الجزائر.
- أحمد ، بن أبي ضياف. **إتحاف أهل الزمان باخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، تح. لجنة من وزارة شؤون الثقافة، ج. 3، مج. 2، الدار العربية للكتاب، تونس، 1999.
- أحمد الشريف ، الزهار. **مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار**، نقيب أشراف الجزائر 1754-1830م، تح. أحمد توفيق المدني، ط. 2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980.

- ألفونص روسو ،البارون. **الحوليات التونسية منذ الفتح العربي حتى احتلال فرنسا للجزائر**، نقلها عن الفرنسية ونقحها وحققها محمد عبد الكريم الوافي، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي.
- جيمس لياندر ، كاثكارت. **مذكرات أسير الداي كاثكارت قنصل أمريكا في المغرب**، تر. إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982.
- حسن بن محمد الوزان ، الفاسي. **وصف إفريقيا**، تر. محمد الحجي ومحمد الأخضر، ج. 1، ط. 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983.
- حسين بن رجب شاوش،ابن المفتي. **تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها**، جمعها فارس كعوان، ط.1، بيت الحكمة، الجزائر، 2009.
- حمدان ، بن عثمان خوجة. **إتحاف المنصفين والأدباء في الاحتراس عن الوباء**، تق، تح . محمد بن عبد الكريم، عاصمة ثقافة العربية، الجزائر، 2007.
- حمدان ، بن عثمان خوجة. **المرآة، لمحة تاريخية واحصائية على إيالة للجزائر**، تح. محمد العربي الزبيري، منشورات ANEP، الجزائر، 1982.
- خير الدين ، التونسي. **أقوم المسالك في معرفة احوال الممالك**، ط. 2، الدار التونسية للنشر، تونس، 1986.
- سيمون ، بفايفر.**مذكرات جزائرية عشية الاحتلال**، تر، تح، تع. أبو العيد دودو، دار الهومة، الجزائر، 2009.
- شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي الدمشقي ،ابن عماد. **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، تح. محمود الارناؤوط، مج. 1، ط. 1، دار ابن كثير، بيروت، 1406هـ/1986م.
- صالح ، العنتري. **مجاعات قسنطينة**، تح. رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1394هـ/1974 م.
- عبد الرحمان بن محمد، بن خلدون. **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، دار العلم للجميع، بيروت.
- عبد الرزاق ،بن حمادوش الجزائري. **رحلة ابن حمادوش "لسان المقال في النبإ عن النسب والحسب والحال"**، تح. أبو القاسم سعد الله، عاصمة الثقافة العربية، الجزائر، 2007.

- عبد الكريم ، الفكون. **منشور الهدايا في كشف حال من ادعى العلم والولاية**، تق. أبو القاسم سعد الله، ط. 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1408هـ/1987 م.
- عبد الله ،بن شويهد. **قانون أسواق مدينة الجزائر 1107-1117هـ/1695-1705م**، تح. ناصر الدين سعيدوني، البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012.
- مجهول. **سيرة خير الدين بربروس في الجزائر**، تح. عبد الله حمادي، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2009.
- محمد بن محمد بن مصطفى ، المشرفي. **الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية وعد بعض مفاخرها غير المتناهية**، تح. إدريس بوهليلة، ج. 2، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية، الرباط.
- **مذكرات خير الدين بربروس**. تر. محمد دراج، ط. 1، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 1431هـ2010 م.
- مسلم، بن عبد القادر. **أنيس الغريب والمسافر**، تح. رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974.
- هابنسترايت. **رحلة العالم الألماني: ج. أو، هابنسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس (1145هـ /1732م)**، تر. ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، تونس.
- وليام ، شالر. **مذكرات وليام شالر قنصل امريكا في الجزائر (1816-1824م)**، تع. المهدي بوعبدلي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.

3.المصادر الأجنبية:

- Diego de Haëdo, **Histoire des rois d'Alger**, trad. par de grammont, edition grand-alger, alger, 1880.
- Don Diego de Haëdo, **Topographie et histoire genérale d'Alger**. Trad par Monnereau et Berbrugger, edition grand-alger livre, alger, 2004.
- Shaw, **Voyage dans la régence d'Alger**, trad. de l'anglais par, jmac, carthy.ed.bouslama, tunis, 1980.

- Venture de Paradis, J.-M. **Alger au XVIII^{e} siècle (1739-1799)**, édité par E. Fagnan, alger, 1898.

4.المراجع العربية:

- أبو العيد ، دودو.**الجزائر في مؤلفات الرحالة الألمان 1830-1850**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،2009.
- أبو القاسم ، سعد الله. **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج. 2، ط. 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998.
- أبو القاسم ، سعد الله. **محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث بداية الاحتلال**، ط.خ، عالم المعرفة دار الرائد، الجزائر،2009.
- أحمد ، بحري. **الجزائر في عهد الدايات، دراسة للحياة الاجتماعية إبان الحقبة العثمانية**، ج. 1، دار الكفاية، الجزائر، 2013.
- أرزقي ، شويتام. **نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره 1800-1830م**، ط. 1، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2011.
- **التراث الجزائري المخطوطات في الجزائر والخارج، الوثائق المخطوطة بالمكتبة الوطنية الجزائرية (نماذج)**، تح. مختار حساني، ج. 2، ط. 1، منشورات الحضارة، الجزائر، 2009.
- جمال ، قنان. **نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر في الحديث 1500-1830م**، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 1431هـ/2010 م.
- جمال ، يحياوي. **سقوط غرناطة ومأساة الأندلسيين 1492-1610م**، دار الهومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.
- جون ، ب. وولف. **الجزائر وأوروبا، 1500-1830م**، تر، تع. أبو القاسم سعد الله، طخ، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2009.
- حسين ، بوحجرة. **الطاعون وبدع الطاعون الحراك الاجتماعي في بلاد المغرب بين الفقيه والطبيب والأمير (1350-1800م)**، ط. 1، سلسلة أطروحات الدكتوراه، مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت، 2011.
- الحسين ، بولقطيب. **جوائح وأوبئة مغرب عهد الموحدين**، منشورات الزمن، الرباط.

- حنيفي ، هلايلي. **أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، ط. 1، دارالهدى، الجزائر، 1429هـ/ 2008 م.
- دلندة ، الأقرش وآخرون. **المغرب العربي الحديث من خلال المصادر**، مركز النشر الجامعي، 2003.
- سوزان سكوت وكريستو فرد نكان. **عودة الموت الأسود أخطر قاتل على مر العصور**، تر. جرجس حنا، مراجعة هاني فتحي سليمان، سارة عاد، مؤسسة هنداوي سي آي سي، د.ب، 2017.
- شارل ، أندري جوليان. **تاريخ إفريقيا الشمالية**، تونس، الجزائر، المغرب الأقصى، تع. محمد مزالي، البشير بن سلامة، مؤسسة تاوالت الثقافية، تونس، 1968.
- شلدون ، واتس. **الأوبئة والتاريخ المرض والقوة والإمبريالية**، تر، أحمد محمود عبد الجواد، مراجعة: عماد صبحي، ط. 1، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2010.
- صالح ، عباد. **الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830م**، ط. 2، دار الهومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007.
- عبد الرحمان، بن محمد الجيلالي. **تاريخ الجزائر العام من 920هـ /1514م إلى 1216هـ/1830م**، ج. 3، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2014.
- عبد القادر ، فكاير. **دراسات في تاريخ الجزائر الحديث العهد العثماني 1518-1830م**، دار الهومة، الجزائر، 2018.
- عبد الله بنصر ، العلوي. **من أعلام الفكر والأدب في فجر الدولة العلوية، أبو سالم العياشي المتصوف الأديب**، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1419هـ /1998م.
- عبد الله دجين ، السهلي. **الطرق الصوفية نشأتها وعقائدها وآثارها**، ط.1، دار الكنوز، إسبيليا للنشر والتوزيع، الرياض، 1426هـ/2005م.
- عبد الله عودة محمد وابراهيم ياسين الخطيب. **تاريخ العرب الحديث**، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، 1989.
- عبد الملك ، بكاي.**الحياة الريفية في المغرب الأوسط من القرن 7-10هـ /13-16م**، النشر الجامعي الجديد، الجزائر، 2018.
- التر، عزيز سامح. **الأتراك العثمانيون في أفريقيا الشمالية**، تر. محمود علي عامر، ط. 1، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1409هـ/1979م.

- علي ، خلاصي. **قصبة مدينة الجزائر**، ج. 1، ط. 1، دار الحضارة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر،2007.
- علي، تابليت. **الريس حميدو أميرال البحرية الجزائرية 1770-1815م**، ثاله، الجزائر، 2006.
- فيصل ، بن محمد العراقي. **الأعشاب دواء لكل داء**، ط. 1، د.د.ن، مكة، 1412هـ.
- محمد الأمين ، البزاز. **تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب في القرنين الثامن والتاسع عشر**، منشورات الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة رسائل والأطروحات رقم 18، الرباط، 1992.
- محمد العربي ، الزبيري. **التجارة الخارجية للشرق الجزائري**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1972.
- محمد الهادي ، الشريف. **ما يجب أن تعرف عن تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال**، تع. محمد الشاوش، محمد عجينة، ط. 3، تونس، 1993.
- محمد خير ، فارس. **تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي**، ط.1، مكتبة دار الشرق، د.ب، 1969-1979.
- مختار ، حساني. **تاريخ الدولة الزيانية الأحوال الاجتماعية**، ج. 3، ط. 1، دار الحضارة للطباعة والنشر، الجزائر، 2007.
- مصطفى ، خياطي. **الطب والأطباء في الجزائر العثمانية**، منشورات ANEP، د.ب، د.س.
- مصطفى ، عبيد.**محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (العهد العثماني)**، د.ب، د.س.
- مولاي ، بالحميسي. **الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.
- ناصر الدين ، سعيدوني. **الحياة الريفية بإقليم مدينة الجزائر، دار السلطان، أواخر العهد العثماني 1791-1830م**، ط.خ، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.
- ناصر الدين ، سعيدوني. **النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني 1792-1830م، ويليه قانون أسواق مدينة الجزائر 1107-1117هـ/1695-1705م**، ط. 3، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012.

- ناصر الدين ، سعيدوني. **دراسات تاريخية في الملكية والوقف والجباية الفترة الحديثة**، ط. 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2001.
- ناصر الدين سعيدوني ، لشيخ المهدي بوعبدلي.**الجزائر في التاريخ العهد العثماني**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
- ناصر الدين، سعيدوني. **تاريخ الجزائر في العهد العثماني ويليه ولايات المغرب العثمانية** الجزائر، تونس، طرابلس الغرب، ط.2، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.
- وليم ،سبنسر. **الجزائر في عهد رياس البحر**، تع. عبد القادر زبادية، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2006.
- يحي ، بوعزيز. **موجز في تاريخ الجزائر**، ج. 2، ط. 2، ديوان المطبوعات الجامعية، د.ب، 2009.
- يحي ، بوعزيز. **موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب**، ج. 1، دار الهدى للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.
- يمينة ، درياس. **السكة الجزائرية في العهد العثماني**، ط.1، دار الحضارة للطباعة وللنشر والتوزيع، د.ب، 2007.

5.المراجع الأجنبية:

- L. Lamarque, **recherches historiques sur médecine dans la régence d'Alger,** Alger, Impimerie Baconnier, 1951.
- Shuval (tal), **la ville d'Alger ver la fin du XVIII^{e} s : population et cadre urbain**. C.N.R.S. éd., Paris, 1998.
- Van den Boogert Nico, L**a révelation des enigmes**, **lexiques arabo –berbéres de XVII^{e} et XVIII^{e} s**., étude traduite de l'anglais par Claude Brenier–Estrine. C.N.R.S.–I.R.E.M.A.M, 1998.

6.الرسائل الجامعية:

- أرزقي ، شويتام. **المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني 1519-1830م**، دكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، 2005-2006.
- أمين ، محرز. **الجزائر في عهد الآغوات (1659-1671م)**، ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر،2007-2008.
- بلقاسم ، قرباش. **الأسرى الأوروبيون في الجزائر خلال عهد الدايات (1671-1830م)**، دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة معسكر، 2015-2016.
- توفيق ، دحماني. **الضرائب في الجزائر (1206-1282هـ/1792-1865م) دراسة مقارنة**، دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة بن يوسف بن خدة، الجزائر، 2007-2008.
- حفيظة ، خشمون. **مهام مفتديي الأسرى والتزاماتهم الاجتماعية في مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية**، ماجستير في التاريخ الاجتماعي لدول المغرب العربي، 2006-2007.
- رحمونة ، بليل. **القناصل والقنصليات الأجنبية بالجزائر العثمانية من 1564-1830م**، دكتوراه في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، جامعة وهران، 2010-2011.
- رشاد ، الامام . **سياسة حمودة باشا في تونس 1782-1814م**، منشورات الجامعة التونسية، تونس، 1980.
- رياض ، بولحبال. **أخبار بلد قسنطينة وحكامها لمؤلف مجهول (دراسة وتحقيق)**، ماجستير في الدراسات العليا، جامعة قسنطينة، 2009-2010.
- سعاد ، عقاد. **الفلاحون الجزائريون والسلطة العثمانية في الجزائر 1519-1830م، دار السلطان أنموذجا**، ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران، 2013-2014.
- سفيان ، صغيري. **العلاقات الجزائرية العثمانية خلال عهد الدايات في الجزائر 1671-1830م**، ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، 1432-1433هـ/2011-2012 م.
- سمية ، مزدور. **المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط (588-927هـ/1192-1520م)**، ماجستير في التاريخ الوسيط، جامعة قسنطينة، 2008-2009.
- صليحة ، جبار. **الجزائر في عهد علي باشا 1754-1766م**، ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر 2، 2010-2011.

- صليحة ، علامة. **الأحوال الصحية بالجزائر خلال الاحتلال الفرنسي من 1830-1962م، عمالة الجزائر نموذجا-دراسة تاريخية**، دكتوراه في التاريخ، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2016-2017.
- صورية ، حسام. **العلاقات بين إيالتي الجزائر وتونس خلال القرن الثامن عشر**، ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، السنة الجامعية 1433-1434هـ/2012-2013.
- عائشة ، غطاس. **الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1700-1800م، مقاربة اجتماعية. اقتصادية**، دكتوراه دولة في التاريخ، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 2002.
- عائشة ، غطاس. **العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال القرن السابع عشر (1619-1694م**، ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 1984-1985.
- عائشة ، محمة. **الأسرى الأوروبيون في مدينة الجزائر ودورهم في العلاقات بين الجزائر ودول الحوض الغربي للمتوسط خلال القرنين السادس والسابع عشر للميلاد**، ماجيستر في التاريخ الحديث، المركز الجامعي بغرداية، 1432-1433هـ/2011-2012م.
- عبد القادر ، بلغيث. **الحياة السياسية والاجتماعية لمدينة وهران خلال العهد العثماني**، ماجستير تاريخ وحضارة إسلامية، جامعة وهران، 2013-2014.
- عثمان ، بوحجرة. **الطب والمجتمع في الجزائر خلال العهد العثماني 1519/1830م (مقاربة اجتماعية)**، ماجستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران، 2014/2015.
- فاطمة ، دخية. **الحركة الأدبية في الجزائر خلال العهد العثماني**، دكتوراه في الأدب واللغة العربية، جامعة محمد خيضر بسكرة، 1435-1436هـ/2014-2015.
- فتيحة ، صحراوي. **الجزائر في عهد الداي حسين (1818-1830م)**، ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر 2، 2010-2011.
- فتيحة ، لواليش. **الحياة الحضرية في بايلك الغرب الجزائري خلال القرن الثامن عشر**، ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 1993-1994.
- فلة ، موساوي- قشاعي. **الصحة والسكان في الجزائر أثناء العهد العثماني وأوائل الإحتلال الفرنسي (1518-1871م)**، دكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، 2003-2004.

- فلة ، موساوي- قشاعي. **النظام الضريبي بالريف القسنطيني أواخر العهد العثماني 1771-1837م**، ماجستير في التاريخ الحديث، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، الجزائر، 1989.
- كوثر ، العايب. **العلاقات الجزائرية التونسية خلال عهد الدايات (1711-1830 م)**، ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الوادي 1434-1435هـ/2013-2014م.
- محفوظ ، سعيداني. **الواقع الاقتصادي للمجتمعات المغاربية في العهد العثماني [مقاربة تحليلية]، من مطلع القرن 18م/12هـ إلى 1830م/1245هـ**، الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر 2، 2011-2012.
- محمد عطية ، أبو هويشل. **الأحول الصحية والطبية في مصر وبلاد الشام في العصر المملوكي 648-923هـ/1250-1517م**، ماجستير في التاريخ الإسلامي، جامعة غزة، 1433هـ/2012م.
- مختار ، بونقاب. **الحياة الثقافية في بايلك الغرب خلال القرنين 18 و19م**، دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة سيدي بلعباس، 2015-2016.
- هيفة صالح ، الصاعدي. **الأوبئة والأمراض في العصرين الأيوبي والمملوكي في مصر والشام**، ماجستير في التاريخ الإسلامي، جامعة طيبة، 1433هـ/2012 م.
- يوسف ، الأمير. **أوقاف الدايات في مدينة الجزائر وفحوصها من خلال سجلات المحاكم الشرعية 1080-1246هـ/1671-1830م**، ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر 2، 2009-2010.

7.الرسائل الجامعية باللغة الأجنبية:

- MARCHIKA, **La peste en Afrique septentrionale : histoire de la peste en Algérie de 1363-1830**, Julien Carbonel, Alger, 1927.

8.المقالات باللغة العربية:

- أحمد ، السعداوي."**المغرب الإسلامي في مواجهة الطاعون: الطاعون الأعظم، والطواعين التي تلته القوانين في8-9 هـ/14-15م**." في: ايبلا I.B.L.A، ع. 175، 1995.
- الحاج قاسم محمد ، محمد." **الأمراض والأوبئة التي اجتاحت العراق في العهد العثماني ووسائل الوقاية منه**"، في: م. ت. ع. د.ع، ع. 25، زغوان، 2002.

- خالد ، بلعربي. "**المجاعات والأوبئة بتلمسان في العهد الزياني (698-845هـ/1299-1442م)**"، في: كان التاريخية، ع. 4، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر،2009.
- رشيد ، يماني."**تداعيات وباء منتصف القرن الثامن هجري على الحياة الفكرية في مملكة غرناطة**"، في: مجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطية، ع. 2، تلمسان، 2015.
- رضا ، عكروتي. "**الأمراض والأوبئة في تونس أثناء القرنين 17 و18م، من خلال مدونة الحلل السندسية في الأخبار التونسية للوزير السراج**"، في: م.ت.ع.د.ع، ع. 50، 2014.
- زينب ، جعني. "**ثورة ابن الأحرش في بايلك الشرق (1800-1807م)**"، في: مجلة عصور الجديدة، قسم التاريخ، جامعة أحمد بن بلة، ع. 18، وهران، 2015.
- شارل روبير ، آجرون. "**كلمة مقتضية لتطهير تاريخ الجزائر من الشوائب الاستعمارية**"، في: مجلة الأصالة الجزائرية، ع. 1،1971.
- عائشة ، غطاس. "**الوضع الصحي للجزائر خلال العهد العثماني**" في: مجلة الثقافة، ع. 76، الجزائر، 1983.
- عائشة ، غطاس. "**أوضاع الجزائر المعاشية والصحية أواخر العهد العثماني، المجاعات والأوبئة 1787-1830م**"، في: م. ت. ع. د. ع.1، ع. 17-18، 1998.
- عائشة ، غطاس. "**من أجل إعادة النظر في البنية الديمغرافية لمجتمع مدينة الجزائر، معطيات مستقاة من الوثائق المحلية**"، في: مجلة إنسانيات، ع. 19-20، 2003.
- عبد الرزاق ، جبر أحمد. **الطاعون المرض القادم**، قسم الإنتاج الحيواني، كلية الزراعة، جامعة المنصورة، فلسطين، 2009.
- فوزية ، لزغم. "**الأطباء الأوروبيون بالجزائر خلال العهد العثماني (1519-1830م)**"، في: مجلة الدراسات التاريخية، جامعة الجزائر 2، ع. 15 و16، 2012-2013.
- محفوظ ، سعداني. "**الفلاحة في بلاد المغرب خلال القرنين 18 و19م**" في مجلة الدراسات التاريخية، ع. 15، جامعة الجزائر 2، 2012-2013.
- محمد ، الزين. "**نظرة على الأحوال الصحية بالجزائر العثمانية في أواخر عهد الدايات**" في: مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ع. 17، جامعة الجيلالي اليابس سيدي بلعباس، 2012.

- محمد ، عطية."**محن الجزائر في عهد الداي عمر 1815-1817م ومواقفه منها**"، في: مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، د.ع، جامعة جيلالي ليابس سيدي بلعباس.
- محمد عمر ، مروان. "**الأوضاع الصحية والإجراءات الوقائية في ولاية طرابلس غرب خلال العهدين القرمانلي والعثماني الثاني 1711-1912م**"، في: م. ت. ع. د. ع، ع. 25، زغوان، 2002.
- مؤيد محمود حمد المشهداني ورشيد رمضان سلوان. "**أوضاع الجزائر خلال الحكم العثماني 1518-1830م**"، في: مجلة الدراسات التاريخية الحضارية، جامعة تكرت، مج. 5، ع. 16، الجزائر، 1434هـ/2013م.
- ناصر الدين ، سعيدوني. "**الأحوال الصحية والوضع الديموغرافي في الجزائر أثناء العهد العثماني**"، في: ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط. 1، دار الغرب الإسلامي، د.ب، 2000.
- ناصر الدين ، سعيدوني. "**الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لولايات المغرب العثمانية، الجزائر، تونس، طرابلس الغرب، من القرن العشر إلى الرابع عشر هجري - من القرن السادس عشر حتى القرن التاسع عشر الميلادي**"، في: حوليات الأدب والعلوم الاجتماعية، ع. 31، 1431هـ/2010م.
- وفاء ، كاظم ماضي الكندي. "**قراءة في الأحوال الصحية والعادات الغذائية لمجتمع ولاية طرابلس الغرب (1835-1911م)**"، في: مجلة كلية التربية الأساسية، قسم التاريخ، جامعة بابل، ع. 13، 2013.

9.المقالات باللغة الأجنبية:

- François Arnoulet, « **Apropos des etudes recentes sur les problèmes de santé dans les provinces ottomanes mediterranens (XVII^e^ et XIX^e^ siécles)** » Actes du VI^e^ Symposium International d'Etudes ottomanes sur : bilan d'études et de recherches sur les provinces arabes à l'époque ottomane durant les trente dernieres années, études réunies et préfacées par prof. Abdelljelil Temimi, publication de la F.T.E.R.S.I, zaghouan, octobre 1996.

- Khalifa Hammache, « **le décès dans la ville d'Alger à l'époque ottomane à travers les contrats de justice charaïque** », in : Arab historical review for ottoman studies, publication de la F.T.E.R.S.I., Tunis, n° 45-46, 2012.
- Valensi, Lucette, "**Calamités démographiques en Tunisie et en Méditerranée orientale aux 18e et 19e s.**", in : A.E.S.C., n° 6, 1969**.**

فهرس

الموضوعات

البسملة
الشكر والعرفان
الإهداء
المختصرات
مقدمة.....أ
الفصل الأول: لمحة عن الوضع الصحي في الجزائر قبل عهد الدايات
أولا: تعريف الوباء والطاعون.....9-14
1/ تعريف الوباء.....9-10
2/ تعريف الطاعون.....10-12
3/ نبذة تاريخية عن الأوبئة.....12
ثانيا: أوبئة الطاعون أسبابها وانعكاساتها خلال القرنيين 14و15م.....14-19
1/ الأمراض الوبائية.....15-18
2/ أسبابها.....15-18
3/ انعكاساتها.....18-19
3-1. اجتماعيا.....18
3-2. اقتصاديا.....18-19
3-3. سياسيا.....19
ثالثا: الظاهرة الوبائية أثناء الوجود العثماني (1519-1671م).....20-25
1- الظاهرة الوبائية في عهد البايلربايات (1519-1587م).....20-22
2- الظاهرة الوبائية في عهد الباشوات (1587-1659م).....22-24
3- الظاهرة الوبائية في عهد الآغوات (1659-1671م).....24-25
رابعا: طرق العلاج والتداوي قبل عهد الدايات.....25-30
1- الطب التقليدي.....25-26
2- الطب العثماني.....26-27
3- الطب الأوروبي.....27-30

الفصل الثاني : أسباب انتشار الظاهرة الوبائية في الجزائر خلال عهد الديات (1671- 1830م) وعواملها

أولا: الأسباب الطبيعية والبشرية لانتشار الأمراض والأوبئة خلال عهد الدايات.....32-52

1/ الأسباب الطبيعية.....32-36

2/ الأسباب البشرية.....37-44

3/ الأمراض والأوبئة.....44-52

ثانيا: الظاهرة الوبائية وأسباب انتشارها مابين 1671 و1711م.....52-54

1/ الأمراض الوبائية أسبابها ووقعها مابين 1671 و1711م.....52-56

1-1. أسبابها.....52-54

1-2. وقعها.....54

ثالثا: الظاهرة الوبائية وأسباب انتشارها ما بين 1711 و1830م..... 54

1/ الأمراض الوبائية أسبابها ووقعها ما بين 1771 و1791م.....56-63

1-1. أسبابها.....54-59

1-2. وقعها.....59-60

2/ الأمراض الوبائية أسبابها ووقعها ما بين 1791 و1830م.....61-65

2-1. وباء سبع سنوات 1816-1822م.....62-65

2-1-. أسبابه.....62-63

2-1-2. وقعه..... 63-65

رابعا: طرق الوقاية والعلاج خلال عهد الدايات.....65-69

1/ السياسة الوقائية لسلطة الحاكمة.....65-67

2/ مساهمة الأهالي في الوقاية من الأمراض الوبائية.....67-69

الفصل الثالث: انعكاسات الظاهرة الوبائية خلال عهد الدايات

أولا: الانعكاسات الاجتماعية والسياسية.....71-78

1/ اجتماعيا.....71-77

2/ سياسيا..... 77-78

ثانيا: الانعكاسات الاقتصادية.....78-83

1/ زراعيا.....78-82

2/ تجاريا..... 82-83

ثالثا: الوقع الوبائي في البلاد المغاربية.....83-87

1/ الظاهرة الوبائية.....83-87

1-1. في تونس.....83-86
1-2. في المغرب الأقصى.....86-87
2/ الوقع الاجتماعي و الاقتصادي في البلدان المغاربية (دراسة مقارنة).....107-111
2-1. اجتماعيا.....87-90
2-2. اقتصاديا.....90-91
خاتمة..... 93-94
الملاحق.....96-114
القائمة البيبلوغرافية.....116-128
فهرس الموضوعات.....130-132
ملخص

ملخص:

عالج هذا البحث موضوع " الظاهرة الوبائية في الجزائر خلال عهد الدايات أسبابها وانعكاساتها" ؛والذي تناولنا فيه مجمل الأسباب الطبيعية والبشرية المتسببة في ظهور الأمراض والأوبئة، كما قمنا بإبراز الانعكاسات التي أحدثتها هذه الأخيرة، حيث شهدت الجزائر في تلك الفترة أوضاع اجتماعية واقتصادية متردية؛ بالإضافة إلى تعرضنا لأنواع الطب في الجزائر بشقه التقليدي، العثماني والأوروبي، ناهيك عن دور الحجر الصحي في الحد من انتشار الأمراض والأوبئة.

Résumé:

Cette étude portet sur le "phénomène épidémiologique en Algérie à l'époque ottoman des ses causes et ses implications ", nous y avons discuté les causes naturelles et humaines ayant conséquences la propgation des maladies et des'épidémies et mis en évidence les répercussions de ces dernières. Nous nous sommes atteleès à exposer les différentes médecines ayant caus dans la régénce, au cesoit la médecine tradittionelle, ottomane ou europeénne , en plus du rôle de la quarantâine pour conbottre.